حوارات

تجربة عملية في الحوار الشيعي السني

تأليف
الشيخ معتصم سيد أحمد

فهرس المطالب

- الإهداء
- المقدمة
- بعدرجوعي إلى السودان
- الجلسة الأولى: نقاش في علم الأصول
- مع الوهابية في أركان النقاش
- أحداث يوم الجمعة
- الجلسة الثانية: مع الدكتور عمر مسعود
- حوار مع شيخ الوهابية
- الجلسة الثالثة: مع الدكتور عمر مسعود
- حوار مع المحدّث والحافظ الدمشقي

{أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه

فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلالٍ مبين}

(سورة الزمر: آية/22)

(إذا أراد الله بعبد خواً نكت في قلبه نكتة بيضاء فجال القلب

يطلب الحق ثم هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره)

الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

بحار الأنوار 5/204

الصفحة 5

الإهداء

إلى وصي الأوصياء، وبقية الله من الصفوة المنتجبين، ابن الأنوار الظاهرة، والأعلام الباهرة، والعترة الطاهرة، إلى معدن العلوم النبوية، وباب الله الذي لا يؤتي إلا منه، وسبيله الذي من سلك غيره هلك، ونور الله الذي لا يطفى، وحجة الله التي لا تخفى، صاحب العصر والزمان، أرواحنا لتراب مقدمه الفداء..

أهدي هذا المجهود المتواضع.

الصفحة 6

الصفحة 7

الصفحة 8

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اللهم صلى على محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صواطه المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

- إن الجمود الذي تعيشه الأمة الإسلامية لم يكن حالة غريبة، اكتنفت المسلمين في حين غرة من أمرهم، وإنما هي نتيجة حتمية لعواصف الانحراف التي غيرت مسار الرسالة عن مجراها الطبيعي بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، في حين يفترض

الصفحة 9

أن يسير المسلمون بخطوات ثابتة ومتزنة، نحو مستقبل مشرق بقيم الله وسننه العادلة، ومهما يكن الإنسان إيجابياً في نظرته فإنه لا يجد التبريرات الكافية لما حصل من انحرافات في خط الرسالة، ولا تعتبر هذه نظرة سلبية بائسة لأمجاد أمتنا الإسلامية، ولكن هي دعوة للبحث عن القيم الإسلامية الصحيحة التي يمكن أن تكون قوام اسم مشتركة تتكفل بوحدة المسلمين وجمع صفهم، وكل ما نوجوه هو رفع ستار القدسية عن تراث المسلمين والتحقيق فيه برؤية منطقية.

- إن حالة التمذهب التي يعيشها المسلمون قديماً وحديثاً، لا يمكن اعتبارها حالة صحيحة نابعة من صميم الدين، وانما هي حالة سلبية لابد من مواجهتها وتخطيها بكل السبل، لأن الرسالة التي جاءت من إله حكيم لا يمكن أن تكون دعوة للتفرقة والتمذهب، وهو القائل {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} (الأنبياء/92)، ولا يمكن أن نتصور الأمة الواحدة، إلا من خلال المنهج الواحد، ومن هنا كانت تعاليم الإسلام تعاليم واحدة، منسجمة مع سنن الله الكونية،

الصفحة 10

التي تجعل الوجود في غاية الانسجام والتوازن، كما إن رسالات الله التي تعاقبت على البشرية كانت تحمل شعاراً واحداً وهو توحيد العباد لعبادة الواحد القهار.

- إن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أعظم الرسل ورسالته هي آخر الرسالات وهنا تبرز الأهمية والخطر، فالأهمية فيما يتعلق بالرسالة باعتبار أنها تلخيص كل رسالات السماء، وخطر بلحاظ العنصر البشري الذي تعود نزول رسالات الله عليه بين الحينة والفينة تصوب أخطاءه وترشده إلى الصراط السوي، وإذا اقتضت الضرورة وبلغ بالبشر الكبر والعناد، أرسل الله عليهم أنواع العذاب، ما يدلل على وجود رقابة إلهية على البشر، وهنا نتعرف على عمق الخطر الذي يعيشه المسلمون لعدم وجود تلك العناية التي تصحح مسارهم، إذا فرضنا عدم وجودها كما هو المعروف عند معظم المسلمين، إن الأرض لا يمكن أن تتصل بالسماء بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإذا سلمنا بهذه الفكرة فإنها تخيم اليأس والإحباط واللامبالاة بالواقع الفاسد، فما عسى أن يفعل الإنسان إذا تخلت عنه إرادة السماء، وبما أن عناية الله

هي التي أرسلت الأنبياء والرسل، فلا بد أن تستمر إلى أن يرث الله الأرض بمن عليها، بغض النظر عن شكل العناية الإلهية.

- عندما ينظر الإنسان لواقع الأمة الإسلامية تأخذه الحيرة من جراء الاختلافات والتمذهب الذي أصبح الطابع المميز في الوسط المسلم، ترى ماذا يصنع الإنسان؟ وأي الطرق يسلك؟

في حين تدعي كل الطرق أنها الحق المطلق، مع إن الثابت بالضرورة أن الحق لا يمكن أن يتعدد بخلاف الباطل الذي يمكن أن يتشكل في وجوه مختلفة.

وهنا يتوجه السؤال المصيري.

هل ترك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمته من غير هدى؟ ومن غير ضمانة تتكفل بعصمة الأمة من الاختلاف والخطأ؟.

لا نريد الإجابة على هذا السؤال لأنه يتطلب بحوثاً عديدة وعميقة، ولكن يمكن الإشارة إلى بعض السبل التي إذا وجدت عصمت الأمة من غير شك،

ويمكن معرفة ذلك إذا نظرنا إلى المسلمين ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهم، فسوف نجدهم كالبنيان المرصوص. أما إذا نظرنا إليهم بعد وفاته نجد ذلك الاختلاف الذي وصل إلى حد التقاتل، إذاً فإن وجود رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان هو الضمان من الاختلاف، وكذلك إذا فرضنا وجوده (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليوم. فماذا كان يمثل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!.

بكلمة جازمة، كان يمثل المرجعية المعصومة الواحدة، ومن الضروريات البديهية أن القيادة الواحدة المعصومة هي الطريق المؤمن والوحيد لعصمة الناس من الاختلاف.

فإذا كان هنالك ضرورة لإيجاد ضمانة فتتعين في تنصيب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إماماً معصوماً يمثل المرجعية لكل المسلمين.

فهل يا ترى نصب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!.

- إذا نظرنا إلى المذاهب بنظرة شاملة نجدها تنقسم إلى مذهبين كبيرين هما الشيعة والسنة، وأما

بقية المذاهب فتعتبر تفريعات من هذين المذهبين وبذلك يمكن حصر البحث فيهما.

- إن عمدة الخلاف بين السنة والشيعة يرجع إلى مسألة الإمامة والخلافة، ويعتمد أهل السنة في نظرية الخلافة على مبدأ الشورى، وبذلك صححوا خلافة أبي بكر لانتخابه في سقيفة بني ساعده، وترى الشيعة ضرورة التعيين والتنصيب الإلهي

للخليفة، حيث لا يمكن اختيار الأصلح في النظرية الأولى، كما أن عملية تعيين الإمام خارجة تخصيصاً عن مسؤوليات البشر.

- لا يمكن إعتبار البحث حول الإمامة بحثاً تاريخياً لا جدوائية فيه لأنه يتعلق بطريقه مباشرة بأمور ديننا ودنيانا، فالبحث فيه يكشف لنا الطريق الذي يجب أن نسلكه، خاصة أن انقسام المسلمين إلى سنة وشيعة كان بداعي الخلاف في هذا الأمر، فعن طريقه نتعرف على أئمتنا الذين يجب علينا تقليدهم ومصادرنا التي نستوحي منها تعاليمنا، وفقهاءنا الذين نتعلم منهم أحكامنا.

- إن من واجب المسلمين وهم يعيشون في عصر العولمة، أن ينفتحوا على بعضهم البعض، ويتجاوزوا تلك العصور المظلمة من الاختلاف والتعصب الأعمى، لكي تتلاقح أفكارهم وتتشكل قناعتهم بالأدلة والبراهين عن طريق السلم لا العنف، وبالحكمة والإقناع لا بالقوة والإكراه. ومن أهم الوسائل التي تفتح هذا الطريق الحوار الهادف البناء، بشتى أشكاله التي تشمل المناظرات والمطارحات والمراجعات، وقد أكدت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على هذا الأمر حيث فتحت الباب واسعاً أمام الحرية الفكرية، والحوار والتلاقي الثقافي، قال تعالى: {ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[1]، وقوله: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[2]، كما عرض

1- سورة النحل: آية /125.

2 – سورة العنكبوت: آية /46.

علينا القرآن الكريم أساليب رائعة في الحوار والجدال كقوله تعالى {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}[1].

وقوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[2].

وغيرها من الآيات التي تبين إن المناظرة والحوار هي الوسيلة التي اتبعها الأنبياء والرسل، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (نحن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبياً)[3].

- لقد أهتم الشيعة قديماً وحديثاً بالمناظرة والحوار، وهذا مؤشر قوة يشكل إيجابية عند الشيعة، وقد كتب في هذا الجانب كتب عديدة تتبعت

1- سورة يس: آية /78-79.

2 – سورة البقرة: آية /258.

3 – الاحتجاج للطبرسي ج1 ص15.

الصفحة 16

المناظرات من عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مروراً بالأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ونهايةً بعلمائهم الذين سجلوا انتصارات واسعة في هذا المجال حتى اشتهروا بفن المناظرة والحوار، ومن أهم الكتب في هذا الإطار (الاحتجاج للشيخ الطبرسي) الذي يعتبر من أهم الكتب لما احتواه من زخم هائل من مناظرات واحتجاجات أهل البيت على خصومهم، وهناك كتب أخرى منها كتاب المراجعات الذي مازال صيته ذائعاً في الأوساط الإسلامية، ومن آخر الكتب في هذا المجال كتاب (مناظرات في الإمامة) تأليف عبدالله الحسن، جمع فيه المناظرات التي تتعلق بمبحث الإمامة فقط، ورغم ذلك فقد زادت صفحاته على (700 صفحة).

- وانطلاقا من مبدأ أهمية الحوار والمناظرة، ومساهمة مني في نشر هذه الثقافة قمت بكتابة هذا الكتاب الذي يعتبر مجهوداً متواضعاً لا يتعدى كونه تجربة شخصية تشوبها كثير من السلبيات، ولكنها تعتبر إنجازاً في عصر قل فيه هذا الفن وانصرفت اهتمامات الناس عنه، هذا بالإضافة إلى أن هذه المناظرات

الصفحة 17

والحوارات تمت في بيئة بعيدة كل البعد عن هذه الأمور وهي السودان، التي دخلت مؤخراً في معمعة الجدل السني الشيعي، وعلى رغم السنوات القصيرة من دخول التشيع إلى السودان، إلا أنه جدير بتوثيق تجربته، باعتبار أن لها طابعاً خاصاً ومميزاً يختلف عن التجارب الشيعية الأخرى.

وعلى الله التوفيق

معتصم سيد أحمد

سوريا السيدة زينب (ع)

10/جمادى الأول/1419 هـ

الصفحة 18

بعد رجوعي إلى السودان

بعد عدة أعوام قضيتها بجوار السيدة الطاهرة مولاتي زينب (عليها السلام)، تلقيت فيها معارف أهل البيت(عليهم السلام) وعلومهم عن السادة والمشايخ الكرام، في الحوزات العلمية المتخصصة في هذا المجال، منذ عهد الإمامين الباقر والصادق

(عليهما السلام) ومازالت حتى وصلت إلينا في هذا العصر.

والحوزات من الطرق التربوية المتميزة ذات خصائص لا توجد في المعاهد التربوية الأخرى، فأول ما تمتاز به الحوزة الفكرية، فتُدرس فيها شتى النظريات في كافة المجالات، من فقه وأصول ولغة وعقائد وتاريخ وعلم اجتماع، مستخدمة في ذلك قوة الدليل والبرهان، لا التعصب المذهبي، كما إنها تحتوي على مكتبة ضخمة فيها كتب جميع المدارس الفكرية الإسلامية وغير الإسلامية، وهذا أوضح مصداق للحرية الفكرية.

وثانياً: العمق في الطرح والتدريس مما يساعد على تخريج المجتهدين القادرين على استنباط الأحكام

الصفحة 19

الشرعية من أدلتها التفصيلية.

ثالثاً: الجو الروحاني الذي يعم أجواء الحوزة من صلوات جماعة وأدعية مأثورة، هذا بالإضافة إلى الترابط القوي والعلاقات الأخوية بين الطلبة.

كل هذا ولدَّ فيَّ روح المسؤولية والالتزام بالحق والدفاع عنه، ونشر رايته لكل محروم يعيش في أودية الظلام، فآليت على نفسي أن أوصل هذه الرسالة، وأن أعمل في ذلك غاية جهدي، وبعد وصولي إلى مدينة الخرطوم وجدت سماحة العلامة السيد علي البدوي(ح) يعقد المحاضرات والمناظرات تثبيتاً لمذهب أهل البيت(عليهم السلام)، رغم كبر سنه، وكثرة الأمراض التي تعجزه عن الحركة، ولكنه كان ذو روحٌ عالية تغلبت على آلام المرض وضعف الكبر، فقلت في نفسي مثل هذا السيد وفي بلد غير بلده يقوم بخدمة مذهب أهل البيت(عليهم السلام) أكثر منا نحن الشباب، فقررت تأجيل سفري إلى أهلي الذين هم في شمال السودان، رغم شوقي الذي لا يُحد لرؤيتهم، وأن أقوم بمساعدته.

الصفحة 20

وفي تلك الأيام كان السيد ينوي السفر إلى مدينة كوستي وهي مدينة تبعد (400 كم) جنوب الخرطوم، فأعددت نفسي للسفر معه وبالفعل وصلنا إلى كوستي وقمنا بجولة على المساجد والمنابر الدينية، ونجحنا في ترتيب عدد من اللقاءات مع مجموعة من العلماء. فكنت أستغل الفرصة في القيام بعدد من النقاشات الجانبية التي عادةً ما تكون على هامش المحاضرات.

وبعد أن قضينا يومين توجه السيد مرةً أخرى إلى الخرطوم، وسافرت أنا مع أحد الأخوان المؤمنين إلى مدينة (مدني) التي تقع على النيل الأزرق شرق مدينة كوستي وفي مدني ذهبت إلى جامعة الجزيرة، كلية التربية في منطقة (حنتوب) دارت بيني وبين مجموعة كبيرة من الطلبة نقاشات متعددة وعميقة استمرت إلى يوماً كاملاً، بعدها رجعت إلى الخرطوم وكان لي فيها بعض الحوارات في جامعة الخرطوم كلية التربية وبالخصوص مع طلبة الدراسات العليا، فكان النقاش معهم سلِساً وجميلاً لثقافتهم العالية ومعرفتهم بقيمة الدليل والبرهان وبعد قراءتهم لبعض

الصفحة 21

الكتب الشيعية هداهم الله إلى نور أهل البيت(عليهم السلام).

وبعد ذلك تجدد شوقي إلى أهلي فقررت السفر إليهم على أمل أن أعيد المسوة من جديد خاصة إن السيد البدوي أصبح طريح الفواش لشدة المرض، وبعد وصولي إلى مدينة عطوة وقبل أن أصل إلى قريتي كانت لي هذه الجلسة التي دارت بيني وبين الدكتور عمر مسعود.

الجلسة الأولى: نقاش في علم الأصول

الدكتور عمر مسعود من البارزين في الساحة السودانية وخاصة في ولاية نهر النيل في شمال السودان، وهو يحمل مجموعة من الشهادات في الاقتصاد، وعلوم الحديث، ومقارنة الأديان، بالإضافة إلى تتلمذه على يد مجموعة من المشايخ وعلماء الطرق الصوفية، كما أنه يمتاز بإطلاعه الواسع في شتى المجالات فله مكتبة ضخمة تحتوي على (11 ألف كتاب)، وهو يعمل الآن محاضراً في جامعة وادي النيل في كليات متعددة، مثل كلية الدراسات الإسلامية، وكلية التربية وكلية التجارة، فهو مدير لقسم التجارة بهذه الكلية.

هذا الدكتور تربطني به علاقة شخصية، علاوة على أنه أستاذي ثلاث سنوات تقريباً، ودارت بيني وبينه مجموعة من الجلسات والحوارات الإيجابية الهادفة، في شتى المجالات التاريخية والأصولية، والعقائدية، أسفرت عن احترام الطرفين وتقدير وجهات النظر.

وأحب أن أسجل هنا بعض هذه الجلسات حتى تعم الفائدة، وخاصة أنها حدثت بعد إصدار كتابي، "الحقيقة الضائعة"، فلم أتمكن من أن إلحاقها في الكتاب، مما دفعني أن أقوم بكتابة هذا الكتيب حتى يكون مكملاً للحقيقة الضائعة، وأسال الله أن يوفقني في تحرّي الدقة ونقل الواقع كما هو.

بعد أن دخلت الحرم الجامعي رأيت الدكتور يلقي محاضرة لطلاب قسم التجارة، وما إن رآني حتى خرج واستقبلني بحفاوة ثم طلب مني أن أحضر إلى مكتبه بعد المحاضرة.

وبعد المحاضرة ذهبت إليه، وبعد السلام والسؤال عن الأخبار.

قال الدكتور: أين كنت خلال هذه الفترة.

المؤلف: في سوريا عند مقام السيدة زينب (عليها السلام).

الدكتور: ماذا كنت تفعل.

المؤلف: أدرس في الحوزة العلمية.

الدكتور: وماذا تدرس.

المؤلف: فقه، أصول، منطق، عقائد، نحو،

الصفحة 24

وغيرها، فالحوزة هي عبارة عن مقدمة للطالب حتى يجتهد في استنباط الأحكام الشرعية، فباب الفقه عند الشيعة مازال حيوياً ومتحركاً وهم يعتمدون في ذلك على أصول منضبطة ومحكمة.

الدكتور: إن أهل السنة أول من ابتدع علم الأصول وتجربتهم أنضج وأكمل، أما تاريخ علم الأصول عند الشيعة فهو حديث مقارنة بالأصول عند السنة.

المؤلف: هذا اشتباه، أولاً إن الأصول هي عبارة عن قواعد وكليات يستنبط منها المجتهد الجزئيات، وهذه الكليات واضحة في روايات أهل البيت، فالإمام الصادق(عليه السلام) كان يقول: "منا الأصول ومنكم الفروع"، هذا من ناحية البعد التاريخي أما إذا قصدت بلورة الأصول بهذه الصورة الحالية والكتابة في هذه المباحث، فإن السنة يختلفون تماماً عن الشيعة ولا وجه هناك للمقارنة فمصادر التشريع عند السنة انقطعت بعد موت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولذلك الحاجة التاريخية ألحت لتكوين علم أصول يتكفل باستخراج الأحكام الشرعية،

الصفحة 25

فالأصول السنية مقارنة مع هذه الحاجة الحتمية جاءت متأخرة جداً، أما الشيعة فهم ينظرون إلى أهل البيت(عليهم السلام) باعتبار أنهم الامتداد الطبيعي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكلامهم حجة، فلا توجد هناك حاجة لاستنباط الأحكام الشرعية مع وجود الأئمة المصطفين من قبل الله سبحانه وتعالى، وبعد مُضي إحدى عشر إماماً وغياب الحجة المهدي(عج) تولدت الحاجة لبلورة الأصول بهذه الصورة الحالية، فالنظرة لابد أن تكون نسبية.

الدكتور: إن علم الأصول عند السنة يمتاز بأنه أكثر مرونة من الأصول عند الشيعة، فإنها جامدة يصعب على الإنسان أن يستنبط حُكْماً من خلالها، فالأصول عند السنة أبوابها كثيرة ومتعددة من قرآن وسنة واجماع وقياس وغيرها تساعد المجتهد على تتبع الحوادث في أي زمن واستنباط الحكم الشرعي لأي موضع.

المؤلف: هذا الكلام لا يمكن أن يقبل، أما إنها جامدة فهذا إدعاء لا يمكن أن يصدقه الواقع، فالفقه الشيعي الذي يرتكز على هذه الأصول التي تسميها

الصفحة 26

جامدة في غاية الدقة لتتبعه للحوادث المتغيرة وتوضيح الحكم الشرعي فيها، كما إن الموسوعات الفقيهة الاستدلالية عند الشيعة تفوق بكثير من غير مقارنة الكتب الاستدلالية الفقيهة عند السنة، هذا أولاً.

أما ثانياً: فالأصول التي ذكرتها هي مشتركة بين الشيعة والسنة وإذا كان هناك مرونة لأصول السنة فهي راجعة للقياس، والقياس عندنا لا يعول عليه في استنباط أحكام الشريعة.

ثالثاً: أن الشيعة ليسوا بحاجة لإعمال القياس، وذلك لكثرة النص الفقهي، المروي عن الرسول وأهل بيته، فالوسائل للحر

العاملي يتكون من عشرين مجلداً كله أحاديث فقهية، وكتاب مستدرك الوسائل ثمانية عشر مجلداً في نفس الإطار للميرزا النوري، فليس هناك من داعٍ لهذه الظنيات التي اعتمد عليها السنة لقلة النص الديني من روايات وأحاديث في جانب الفقه.

الدكتور: هذا كلام سطحي إن الأصول لم تكن بداعي قلة النص الديني كما زعمت، وما هذه الأصول إلا بمثابة تعليل لهذه النصوص، فالقياس

الصفحة 27

مثلاً لم يكن خارجاً عن إطار النص وانما هو الطريق الذي من خلاله يتوصل النص للحوادث المتغيرة، لأن لكل حكم علة بعد اكتشاف هذه العلة تكون بمثابة قاعدة تنطبق على حوادث متعددة وهذا هو علم الأصول بعينه.

المؤلف: هذا الكلام بصورته العامة يبدو وجيهاً ولكن عندما نفصل المسألة ونُدقق أكثر يظهر لنا ضعفه، وذلك إن القياس كما تفضلت هو إرجاع الفرع إلى الأصل إذا اشتركت العلة بين الأصل والفرع، وكما هو واضح أن الحكم يدور مدار العلة وجوداً وعدماً، ولكن الإشكال كيف تكشف علة الحكم؟.

فإذا كانت العلة منصوصاً عليها من قبل الشارع نفسه، فمثلاً يقول إن الخمر حرام لأنه مسُكر، فيمكن أن أقيس النبيذ على الخمر إذا كان النبيذ مسكراً، فأقول الخمر حرام لأنه مسكر والنبيذ مسكر إذاً النبيذ حرام. هذا لا إشكال فيه رغم أن هذا نفسه لا يسمى قياساً بمعنى أننا لم نقس حكم النبيذ على حكم الخمر، وانما اكتشفنا حكم النبيذ من النص مباشرةً، أي أن

الصفحة 28

الخمر والنبيذ كلهما يرجعان إلى نص واحد وهو أن كل مسكر حرام.

أما إذا لم تكن العلة منصوصاً عليها من قبل الشارع فكيف لنا معرفتها، فكل ما نتوقعه لا يخرج عن إطار الظنية ولعل الشارع لم يرتب الحكم على هذه العلة التي اكتشفناها وإنما لعلة أخرى باطنية، مثلاً في حكم الصيام في السفر يقول الشارع **{وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}** فالظَّاهِرُ مِنَ هذه الآية هو عدم الصيام في حالة السفر، فيقول مجتهد أن العلة من عدم الصيام في السفر هو الإرهاق والتعب وخاصة أن السفر في القديم كان عبر الدواب، والآن أختلف الوضع وأصبح السفر مريحاً، فارتفعت العلة التي تمنع الصيام في السفر فيرتفع معها الحكم، وعلى هذا الاجتهاد كثير من المسلمين يصومون في حالة السفر فهذه مخالفة للنص، من الذي يقول إن العلة هي التعب؟ هل الشارع نص على ذلك؟! وإن لم ينص فتكون هذه العلة ظنية لا يعول عليها في استخراج الحكم، وإنما الآية في مقام التشريع فكما أن الله شرع الصيام في

الصفحة 29

شهر رمضان كذلك هو الذي منعه في السفر فلا تعارض بين الحُكمين كما لا تلازم بينهما، فهذا القياس مرفوض بحكم الشرع والعقل.

الدكتور: إن البحث عن الحكم القطعي من الصعوبة بمكان، ولو كانت الشريعة تطالبنا بالحكم القطعي لكل واقعة لأصبح الأمر عسراً، كما أن هذه العلل التي تسميها ظنية هي الطريق الوحيد مع إنني لا أقول ظنية.

المؤلف عفواً أستاذي: إن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان ولا يمكن أن تكون الشريعة في زمن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) كل أحكامها قطعية وواقعية والآن تكون أحكامها ظنية، إلا إذا كنت تعتقد أن أحكام الرسول أيضاً ظنية.

وإنما المسألة محلولة داخل الشريعة نفسها، فالأحكام حسب التقسيم الأصولي الشيعي أحكام واقعية وأحكام ظاهرية، فالحكم الواقعي هو الذي يُستنبط من دليل قطعي مثل القرآن والسنة والعقل، والدليل القطعي هو الكاشف للواقعة ولا يحتاج إلى دليل آخر يكشفه إنما تكون حجيته حجية ذاتية، إما إذا

طرأت علينا حادثة لم نجد لها حكماً في القرآن والسنة والعقل[1] ، فهناك أصول عملية مثل الاستصحاب وأصل الواءة وغيرها، فإن هذه الأصول ليست أدلة واقعية فبالتالي تكون أحكامها ظاهرية، أما حجية هذه الأصول فهي حجج مجعولة بمعنى أن الشارع جعل لنا هذه الأصول حجة، فالحجة نابعة من نفس هذا الطريق وليست ناظرة للحكم بما هو واقعي أو غير ذلك، فالاستصحاب مثلاً لا يكشف الواقع، ولكن عندما قال الشارع لا ينقض اليقين السابق الشك اللاحق، فيكون بذلك جعل لنا الشارع حجية الاستصحاب رغم أنه لا يكشف الواقع. وكل هذا يدل على مرونة الشريعة وتساهلها، كما يدل على أن الشارع جعل لنا طرقاً نلجأ إليها عندما يتعسر الدليل الواقعي، أما إذا كنت تقصد أن اكتشاف العلل وتوضيحها يجعل الفقه أكثر مرونة وتطوراً، فإن هنالك نظريات شيعية عميقة في هذا الجانب، تنطلق من مفهوم أن الدين ثابت ومتغير، وقد فصّل آية الله

1- الحكم العقلي إذا كان يقيني كاشفاً للواقع، كما يسمى عند الأصوليين القطع والقطع أعم من حكم العقل.

السيد محمد تقي المدرسي في كتابه التشريع الإسلامي هذا الأمر، وهو يبني نظريته على أن كل النصوص [1] الدينية تبين الحكم مع الحكمة، فيتتبع الفقيه هذه الحكم من خلال نصوص القرآن والسنة فتشكل هذه الحكم مجموعة قواعد كلية يمكن للفقيه أن يرجع إليها الحوادث الجزئية.

الدكتور: ما أنكرته في أول حديثك أقررت به في هذا الكلام فهذه النظرية التي ذكرتها مؤخراً تدل على أن الأصول الشيعية جامدة، مما دفع المدرسي أن ينتهج هذا النهج، الذي هو أقرب إلى الطرح السني، كما أن المدرسي من العلماء المعاصرين فتجربته مؤالت حديثة، لا تحسب ضمن تاريخ المدرسة الأصولية الشيعية، بخلاف الأصول عند أهل السنة الذين هم أول من طرق هذا الباب الذي أكتشفه المدرسي مؤخراً ولعله استفاد من الطرح السني.

المؤلف: إن كلامي غير متناقض، فإنه يَصُب

1- النصوص وليست الأحكام، والفرق كبير.

في نفس المنحى، ويؤكد أن الأصول الشيعية متطورة، فإن كل فترة زمنية لها من الظروف والدواعي التي تُحتم على الأصول انتهاج نهج جديد وهو بالطبع لا يخالف القديم، وإنما الطرح وبلورة النظرية وتنقيح الأفكار عادةً ما يضيفان نوعاً من الحداثة، وإلا فالكلام عن علل الشرائع قديم عند علماء الشيعة فالشيخ الصدوق مثلاً عنده كتاب "علل الشرائع" وهو من الكتب القديمة؟.

كما إن السيد المدرسي لم يبتدع شيئاً، وإنما قام بعملية جمع واستخراج القيم والحكم المبثوثة في القرآن والروايات، وسوف أحضر لك كتاب التشريع الذي طبع منه إلى الآن أربع مجلدات [1] حتى تعرف الفرق بين الطرح السني وطرح السيد المدرسي، فالفرق عميق بين الطرحين فالقياس يعتمد على استخراج علة الحكم من نفس الحكم، ثم يقيس عليها الفروع التي تشابهها في العلة، أما الطرح الآخر فهو يبنى على أن الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة

1- طبع الآن الجزء الخامس والسادس والسابع والثامن من التشريع.

تطرح مجموعة من الحِكم والقيم وبعد استخلاصها بطرق قطعية تورث اليقين والاطمئنان تكون هذه الحِكم حاكمة على مجموعة من الأحكام التي ترجع إلى هذه الحِكم بصورة مستقلة [1]، وهذا الطرح لا يوجد له أثر في المدرسة السنية هذا من جهة القياس

1- وليس هذا الاستنباط من نوع القياس الذي يرفضه مذهب أهل البيت عليهم السلام والسبب هو:

أولاً: أن القياس منهج يختلف جذرياً مع المنهج القرآني وقد ناقشنا ذلك في مناسبة سبقت..

ثانياً: أن القياس في المصطلح التعرف على حكم النظير من خلال علة مظنونة في نظيره، بينما هنا نحن نريد استنباط حكم الفرع من الأصل. وعلى هذا فإن أساس البصيرة القرآنية التي عرفناها بفضل أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) هو السعي لفهم الحكم العامة في الشريعة عبر التدبر في آيات الذكر. والسلوك عبر المنهج الإلهي الذي بشر به الدين وسبق الحديث عنه وإذا تبصرنا هذا الحكم جيداً، وعرفناه يقيناً فإننا نستنبط منها حكم المسألة الفرعية بلا تردد، ويكون علمنا به علماً يقينيا أو على الأقل تطمئن نفوسنا إليه مما يكفينا حجة شرعية، كما سنتحدث عنه في مناسبة أخرى. وهكذا يرى هذه المنهج أنه لا يجوز الأخذ بالحِكمة المظنونة، ولكن يوصينا.

بضرورة البحث الجدي لمعرفة حكمة كل حكم شرعي من خلال التدبر في النصوص (الآيات والروايات) فنحن ندعو إلى الحصول على العلم بالحكمة الإلهية الموجودة في كل حكم شرعي. ولا ندعو إلى العمل بالحِكم المستنبطة بالقياس الظني، والفرق بينهما هو الفرق بين العمل بالاستنباط العملي وبين العمل بالقياس الظني والله الموفق).. التشريع الإسلامي ج1 ص52.

الصفحة 34

أما الأصول الأخرى مثل الاستحسان وسد الذرائع وفقه الصحابي وغيرها، فإن إثبات حجية هذا الأصول من البعد بمكان، فالطرح الشيعي في الأصول مغاير للطرح السني أجمالاً وتفصيلاً.

الدكتور: إن هذه الأصول التي ذكرتها ليست العُمدة عند أهل السنة، وإنما عمدتهم هو القرآن والسنة، والإجماع، والقياس، ثم بعد ذلك الأصول الأخرى، وفي هذه الأصول لا خلاف بين السنة والشيعة، فالخلاف ليس إجمالا وان ما تفصيلاً.

المؤلف: أما القرآن والسنة فنعم رغم أن الخلاف فيهما موجود، فبأي كيفية نتعامل مع القرآن؟ وكيف نفسره ونستنبط منه الحكم الشرعي؟ والسنة هل هي رواياتكم أم رواياتنا؟ وهل كلام أهل البيت حجة أم قول الصحابي؟ فهذه الأسئلة تباعد بيننا وبينكم، أما بخصوص الإجماع فهو غير حجة فقد ناقشت الكتب الأصولية الشيعية الإجماع وأثبتت عدم حجيته، نعم هنالك من يقول إن الإجماع حجة إذا كان كاشفاً عن رأي المعصوم أو عن دليل شرعي، ولكن هنالك من رد عليه بأن الحجية لا تكون لذات

الصفحة 35

الإجماع، وإنما تكون لرأي المعصوم أو الدليل الشرعي.

الدكتور: إنكار حجة الإجماع أمر غريب، فقد تعرف على حجيته المسلمون قديماً وحديثاً وبنيت على أساسه كثير من الأبواب الفقهية، بل حتى أن الشيعة يستدلون بالإجماع في مسائل فقهية فلماذا هذا التناقض؟!.

المؤلف: أولاً إن بحثنا عن حجية الإجماع كان في إطار الحجج القطيعة الذاتية التي تولد حكماً واقعيا فعدم حجية الإجماع بهذا المنظور من البديهيات، لأنه ليس كاشفاً عن الواقع، أما اعتبار الإجماع كدليل فهو مأخوذ بتعرف العقلاء بالأخذ به فيكون حجة عُقلائية إذا أورثت الاطمئنان واليقين، فاستدلال علماء الشيعة بالإجماع في المسائل الفقهية من هذا الباب، هذا بالإضافة

إلى أن معظم المسائل التي استشهد الفقهاء فيها بالإجماع إنما بقصد تعضيد الفتوى لا من باب توليدها.

وعندما وصلنا إلى هذه النقطة أعتذر الدكتور لضيق وقته

الصفحة 36

الصفحة 37

مع الوهابية في أركان النقاش

دارت في الساحة الفكرية في مدينة عطوه أحداث ساخنة، بعد أن سيطر الطرح الشيعي على مستوى المناظرات وأركان النقاش، خاصة بين طلبة جامعة وادي النيل، فكان حديث الساعة الشيعة والتشيع حتى في الأماكن العامة، هذا مما أشعل نار الحقد الوهابي فكثفوا هجومهم على الشيعة في كل مناوهم، وعندما علموا أن مصدر التشيع في المدينة هو جامعة وادي النيل، عملوا على حجز دار الطلاب وهي دار كبيرة تقام فيها نشاطات الطلاب الثقافية والسياسية، لمدة يومين وهما الخميس والجمعة وكان برنامجهم يشتمل على معرض كتاب وملصقات وعرض فيديو، كلها تعرّض بالشيعة، بالإضافة إلى محاضرة في اليوم الأول بعنوان "وجاء دور المجوس" وكان المحاضر مستعار من مدينة أخرى وهي (مدني)

الصفحة 38

جنوب الخرطوم، وفي اليوم التالي كان ركن النقاش بعنوان (هذا أو الطوفان) ويختلف ركن النقاش عن المحاضرة بأنه يغلب عليه طابع النقاش والجدال والحدّية أكثر من المحاضرة.

وكان قصدهم من هذا الجهد هو تشديد الضربة على الشيعة، حتى ينتهي وجودهم في المدينة، أو على الأقل يحدثوا قطيعة بين الشيعة والمجتمع، ولذلك عندما فشلوا في الرد على الشيعة رفعوا شعارات الولاء والبراءة وأمروا الناس بمقاطعة الشيعة في كل أمور الحياة.

وعندما اكتشفنا نواياهم قررنا أن يكون ردنا عليهم وعلى افتراءاتهم قوياً ومحكماً، وأن يكون أكثر علمية ولا ننصاع لتهكماتهم ومهاتراتهم، وخاصة أن الجو الذي سوف يكون فيه الحوار هو جو مثقف و واعي بأهمية البرهان والدليل.

وعندما جاء يوم الخميس زرنا الدار في الساعة الخامسة مساءً حتى نقف على آخر التطورات فوجدنا أن الدار كلها معدة لذلك، فقد حشدوا فيها المعارض والملصقات ومكبرات الصوت وكراسي ولحى طويلة

الصفحة 39

تملأ الدار، وقد كان الجو مُهيباً وهم ينظرون إلينا ويتهامزون ويتغامزون، ولكنا كسرنا حاجز الهيبة وتجولنا في أجنحته نتصفح عناوين الكتب ونقرأ شعاراتهم التي كتبت بخطٍ عريض في كفر الشيعة وبعدهم عن الدين، فهي تحكم في الواقع على جهالة الوهابية وبعدهم عن التشيع، فكان الأصدقاء يضحكون على هذه العقول السخيفة التي سطرت هذه الكلمات، وعندما حان

وقت المغرب ذهبنا لنصلي جماعة، ثم نأخذ احتياطاتنا اللازمة في تأمين أنفسنا من اعتداءاتهم وتوزيع برامج النقاش بيننا وكيفية الانتشار واتخاذ المناطق المهمة في الجلوس وغيرها، وبالفعل تم ذلك، واتخذت أنا أول مقعد في مقابل المتحدث الوهابي مباشرةً.

وبعد تلاوة آيات من القرآن الحكيم وتقديم المتحدث. شرع المحاضر في حديثه وكان يحتوي على الآتي:

- . اختلف المسلمين إلى مذاهب عديدة وهذا مصداق لحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى

إلى أثني وسبعين فرقة وستفترق أمتي إلى ثلاثة وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وقيل من هم يا رسول الله قال ما كنت عليه أنا وأصحابي" وهذا الحديث نص صريح على أن طريق النجاة هو الأخذ بمنهج السلف الصالح، فهم الذين فهموا الدين ونقلوه، وحفظوا القرآن وفسروه، ولا يجوز أن نقدم رأينا على كلامهم بل نتمسك بهم ونعض على سنتهم بالنواجذ.

- . إن الشيعة عندما رأوا أن يطعنوا في الدين طعنوا في الصحابة، والطعن في الناقل هو الطعن في المنقول، فشككوا في عدالة الصحابة وجرحوهم، مع أن الجرح والتعديل لا يجوز في حقهم، لأنهم وثقهم الله ورسوله.
- . إن فرقة الشيعة ابتكرتها اليهودية ولذلك نجد أن مؤسسها يهودي أسمه عبدالله بن سبأ، وهو دخيل على الإسلام وما كان يقصد إلا الفتنة، فغلوا جماعته في علي وألهوه حتى أحرقهم بالنار وهذا دليل كافي على أن علياً بريءٌ منهم.
- . إن الشيعة دخيلة على السودان وهو شعب

سُني أصيل، وهذا من مساوئ الحكومة الحاكمة، فإنها فتحت المجال لهم وكان من المفترض أن تقف في وجههم وترد كيدهم.

- .ومن مساوئ الشيعة أيضاً يؤمنون بزواج المتعة وهو زواج جاهلي أبطله الإسلام، ولكنهم يدعون أنه لم يحرمه الرسول ولكن حرَّمه عمر بن الخطاب.

ولم يخرج كلامه من هذه النقاط. وبعد أن ختم حديثه، وزَّع جماعته قطعاً ورقية ً حتى تكتب فيها الأسئلة، ولكنها طريقة غير مجدية في حقنا، فرفعت يدي وطلبت أن اسأل مباشراً، فوافق على ذلك.

وبعد أن أمسكت بلا قطة الصوت، شكرته على أتاحته الفرصة لنا، وقلت له: إن لي ملاحظات على كل كلامك، ولكن أن أسألك وأنت تُجيب فهذه مسألة غير منصفة، فأخيرك بين أمرين إما تعقد معي مناظرة، وإما أن تسمح لي بالكلام حتى أعقب على كل المحاضرة، فأيهما تختار؟.

. سكت مدة من الزمن وقال: أسمح لك بخمس دقائق.

. قلت لا تكفي.

. قال عشرة دقائق.

. أيضاً لا تكفي، وأنا أرى أن تكون مناظرة، حتى لا تكون محدده بزمن، ونحن مستعدون أن نجلس معك أسبوعاً كاملاً ونطرح كل العقائد الشيعية من الألف إلى الياء.

. قال إن المناظرة لابد أن تُنسق مع جماعة أنصار السنة المحمدية في الجامعة.

. قلت أنا أريدها معك أنت شخصياً فلا تحتاج إلى تنسيق.

. تكلم براحتك.. وكأنه هاربٌ من المناظرة.

. وبعدما فسح لي المجال للتحدث، رأيت أن من الأنسب أن لا أعتمد على منهجية الرد وحسب، وإنما أقوم بتوضيح عام لمفهوم التشيع، ونشوئه التاريخي ومصاديقه، بمثابة مقدمة تأصيلية.

فقلت: إن التشيع ليس وليد اللحظة ولا وليد حالة تاريخية معينة كما يقول البعض، إن التشيع نشأ بعد حرب الجمل، أو كما يقال أن التشيع اصبح خط في الأمة الإسلامية بعد حادثة كربلاء الأليمة التي ولدت

تياراً عاطفياً عنيفاً في نفوس المسلمين مما جعلهم يتبنون أهل البيت(عليهم السلام) باعتبارهم قيادة للمسلين. وليس كما يقول المجحِفون إن التشيع وليد الذهنية اليهودية التي تمثلت في شخصية عبدالله بن سبأ.

إن الناظر إلى التشيع بروح موضوعية، يرى أنه ضارب جذوره في عمق الرسالة المحمدية، فهو كمفهوم واضح من خلال النص القرآني والأحاديث النبوية، فإنه لا يتجاوز أن يكون نظرة عميقة في سنن الله سبحانه وتعالى، التي نستخلص منها ضرورة اصطفاء أئمة وقادة ربانيين يتكفلون بقيادة البشرية إلى نور الهداية، فالضرورة العقلية تحتم وجود إمام من قبل الله ليقود هذه الأمة، وتؤيد هذه الضرورة العقلية النصوص الشرعية التي نجدها ظاهرة في تنصيب الأئمة واصطفاء القادة، فما من مجتمع بشري مرَّ على تاريخ الإنسانية وألا كان فيه قيادة إلهية تمثل حجة الله على العباد، فقد أرسل الله مائة وأربع عشرين ألف نبي كما في بعض الروايات، ولكل نبي وصي يحفظ خط الرسالة من بعد النبي.

وما لاقته الأمة الإسلامية من تمذهب وفرقة ما

كان إلا لفقدان المرجعية الواحدة، المصطفاة من قبل الله، ومما ثبت بالضرورة إن فترة وجود الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان المسلمون كياناً واحداً لوجود رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهم وكذلك إذا فرضنا وجوده (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليوم لكانت الأمة الإسلامية جسداً واحداً، فيتضح بذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمثل صمام أمان لهذه الأمة، فمجرد ما أنفلت صمَّام الأمان أنفلت الوضع من بعده، فماذا كان يمثل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!.

كان يمثل المرجعية المعصومة والقيادة الواحدة، فيثبت من ذلك أن الطريق الوحيد لعصمة الأمة هو وجود قيادة إلهية معصومة. وهذا ما تتبناه الشيعة، ومن هنا كان من الضروري أن يُنصب الله ورسوله إماماً لقيادة المسلمين، والذي ينكر هذا التنصيب بمعنى أن الله لم يعين إماماً يكون بذلك نسب سبب الضلالة إلى الله ورسوله.

فهذا هو مفهوم الإمامة، ولا أتصور أنّ أحداً من المسلمين ينكر الإمامة كضرورة ومفهوم، ولكن الخلاف كل الخلاف في مصاديق الإمامة الخارجية،

فإن الشيعة تعتقد أن الإمامة جارية في ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام)، ولم يكن هذا مجرد افتراض جادت به قريحة الشيعة، وإنما هو نص قرآني وحديث نبوي، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): كما جاء في الحاكم "أوحي إلي في علي ثلاثة: أنه سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين"، وحديث جابر بن عبدالله قال: "سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو آخذٌ بضبع علي بن أبي طالب وهو يقول هذا إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله".

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): مرحباً بسيد الموحدين وإمام المتقين"، وعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: قال رسول الله" الأئمة من ولدي، فمن أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصا الله، هم العروة الوثقى، والوسيلة إلى الله جل وعلا" ومئات الأحاديث، فما ذنب الشيعة بعد ذلك إذا والوا علي بن أبي طالب، وأخذوا دينهم منه، فهو المسار الطبيعي للرسالة، ولولاه لم يعرف للدين معنى.

ولذلك نجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أكد

كثيراً على ضرورة الإمامة وإمامة علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالذات، وهذا هو التشيع فهل لكم معنى آخر للتشيع حتى تنسبونه إلى عبدالله بن سبأ؟! بل كلمة الشيعة نفسها لم تكن مصطلحاً غريباً على الأمة الإسلامية فقد عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على تثبيت هذا المصطلح وتأصيله في ذهنية الأمة الإسلامية، كما جاء في حديث جابر قال: "كنا عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقبل علي (عليه السلام) فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) "والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة" فأنزل قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ}** (سورة البينة: آية/ 7)، (راجع الدر المنثور للسيوطي ج 8 ص589)، وكما جاء عن أبن عباس قال: لما أنزل الله تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ}** قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) "هم أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين" (راجع أبن حجر في الصواعق المحرقة، الباب الحادي عشر الفصل الأول

الآية الحادية عشر)، وغير هذه الروايات الواضحة في تحديد مسار الأمة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لذلك نجد أن لهذه الروايات مصاديق وترجمة خارجية من مجموعة من الصحابة كسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والمقداد حتى أصبح لفظ الشيعة لقباً لهم. ذكر أبو حاتم في كتابه الزينة: "إن أول أسم لمذهب ظهر في الإسلام هو الشيعة وكان هذا لقب لأربعة من الصحابة أبو ذر، عمار، والمقداد وسلمان الفارسي".

هذا بالإضافة لوجود كثير من الآيات والأحاديث التي توجب إتباع أهل البيت خاصة وأخذ الدين عنهم كقوله تعالى **{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}**[1].

من الضروري أن لا يكون الله طهرهم من الذنوب عبثاً وإنما تطهرهم مقدمة لإتباعهم وأخذ الدين منهم، كما جاء في الحديث: "إني تارك فيكم

1- (سورة الأحزاب: آية /33).

الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن العليم الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"[1].

وهذا يدل على إن البعد عن الضلالة لا يتحقق إلا بإتباعهم وأخذ الدين منهم، حتى السلف . الصالح . لا يسمى صالحاً إلا إذا أخذ دينه عن أهل البيت(عليهم السلام)، فبأي حجة بعد ذلك تقول إن أخذ الدين لابد أن يكون عن طريق السلف، وأي سلف تقصد هل الذين لم يتفقوا في ابسط الأحكام الفقهية، كاختلاف فهم في قطع يد السارق فهل تُقطع من أصل الأصابع، كما قال بعض الصحابة، أو من الكف، أو من المرفق، أو من الكتف كما قال آخرين[2]، فمن الضروري أن

---

1 - صحيح مسلم: ج4ص123 دار المعارف بيروت لبنان. المستدرك ج3ص27 كتاب معرفة الصحابة، دار المعرفة بيروت. مسند أحمد ج3ص17 -26 -14 -59 -دار صادر بيروت. الترمزي ج5 ص663 -662 -دار إحياء التراث العربي. كنز العمال ج1 الباب الثاني ص172 حديث رقم 810 و871 و872 و873 طبعة مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الخامسة سنة 1985 وغيرهم لا يسع المجال لذكرهم. وللتفصيل راجع كتابي الحقيقة الضائعة ص65 2- راجع بداية المجتهد ونهاية المقتصد وتفسير الفخر الرازي.

يكون رسول الله قد بلغَّ حكماً واحداً لا أحكاما مُتعددة، وهذا يدل على أن الصحابة هم الذين اخطؤا فكيف نعتمد على قولهم وندين الله تعالى بإتباعهم، فإذاً ليس كما ذهبت أن الطريق هو متابعة كل السلف الذين اقتتلوا وكفروا بعضهم، وإنما يؤخذ الدين عن شريحة خاصة كفل الله عصمتهم من الاختلاف وهم أهل البيت(عليهم السلام) الذين تواترت الروايات في حقهم ووجوب إتباعهم.

أسألك بالله إن كنت صادقاً فيما تقول، أن تثبت لي دليلاً واحداً يقتضي بوجوب إتباع السلف؟! واستدلا لك ببعض الآيات كقوله تعالى **{وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى}** (سورة النساء: آية/ 115)، فإنها لا يمكن أن تحمل على مطلق السلف، وإنما هي عامة وتخصيصها يحتاج إلى دليل ولا توجد قرائن تخصصها إلا ما جاء في حق أهل البيت(عليهم السلام)،

ولا يمكن أن تحملها على مطلق السلف كما ثبت من وقوع الاختلاف بينهم.

ولا نقبل استدلالك بقوله تعالى {مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ... } (سورة الفتح: آية/ 29)، فإنها لا

الصفحة 50

تتجاوز أن تكون مدحاً، وإن تنزلنا وسلمنا بظهورها فيما تدعي فإن الظهور لا يقابل النصوص الواضحة القاطعة بوجوب إتباع أهل البيت(عليهم السلام).

ونحن نرى أن مشكلتكم ليست الأدلة والبراهين الواضحة في وجوب إتباع أهل البيت(عليهم السلام)، وإنكم لم تكونوا سلفيين بمحض إرادتكم، وإنما هذا ما ورثتموه من التاريخ الجائر للحكمين الأموي والعباسي، الذي عمل جهده حتى يورث الأمة تيلاً يواجه أهل البيت(عليهم السلام)، وإلاّ ما كررت أنت نفس ما لاكه علماؤك الأقدمين، الذين صنعتهم السلطات الجائرة، ليشوهوا صورة التشيع، بالله عليك هل هناك عاقل له قليل إطلاع بالمذهب الشيعي يكون صادقاً مع نفسه إذا نسبه إلى عبدالله بن سبأ؟ نعم قد يكون الجاهل معذوراً، ولكن ما عذر من يكرر الجهل ويتبناه من غير رواية وتحقيق، ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين فكيف تتحدثون عن الشيعة، وكأنهم مخلوق غريب لا ارتباط لهم بالإنسانية، ويعيشون في كوكب غير كوكبنا، عزيزي إن الوسائل قد تغيرت فاتركوا ما ورثتموه عن سلفكم

الصفحة 51

ابحثوا عن وسائل جديدة في الرد على الشيعة، فز منهم غير زمنكم، فقد تعددت وسائل المعارف، فهذه الكتب الشيعية متوفرة في كل مكان فاطلعوا على براهينهم، وهذه البلاد الشيعية زوروها وقفوا على أحوالهم ولا تقولوا كما قال محمد بن عبد الوهاب، إن الشيعة إذا ماتوا تحولوا إلى قردة وخنازير".

وكان بإمكاني أن لا أرد على ما ذكرت، لأنه لا يرقى إلى مستوى الفكر والنقاش، ولكن تنزلاً أعقب على ما ذكرته في حديثك.

أولاً: إن نسبة الشيعة إلى عبدالله بن سبأ، يرجع إلى ما رواه الطبري، وهو أول راوي لذلك، أما بقية المؤرخين فإنهم أخذوا منه، وروى الطبري ذلك عن سيف بن عمر، وسيف معروف قدره عند علماء الجرح والتعديل [1]، فأنه رجل كاذب ومدلس ولا يؤخذ

1 - قال يحيى بن معين - ت 233 هـ-: ضعيف الحديث فلسٌ خير منه. وقال أبو داود -ت 275 هـ- ليس بشيء كذاب. وقال النسائي صاحب الصحيح -ت303 هـ-ضعيف ومتروك الحديث ليس بثقة ولا مأمون. وقال ابن =حاتم -ت327 هـ-: متروك الحديث. وقال ابن عدي -ت365 هـ-يروي الموضوعات عن الأثبات، أتهم بالزندقة، وقال: قالوا كان يضع الحديث. وقال الحاكم -ت405 هـ-: متروك، وقد اتهم

=>

الصفحة 52

برواياته، وللمزيد أرجع إلى كتاب عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى للعلامة مرتضى العسكري.

ثانياً: حتى لو سلمنا بهذه الروايات فإنها لا تقول بأن عبدالله بن سبأ هو مؤسس الشيعة، فكل ما فيها أن هذا الرجل أدعى

أن لكل نبي وصي، وان وصي محمد هو علي(عليه السلام)، وهذا ليس من مبتكرات عبدالله بن سبأ، وإنما صرَّح به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل، فإذا كان قول الشيعة مطابق لقول أبن سبأ، فما هو وجه الملازمة بين هذا وبين أن يكون هو مؤسس الشيعة؟ فما هو وجه الشبه حتى تربط بين الأمرين ولعمري إنها لسخافة في الرأي.

أما تأليه علي(عليه السلام) وأن علياً(عليه السلام) أحرق أتباعه بالنار، فإن الشيعة لا تؤمن بذلك، وإنما نعتقد أن علياً (عليه السلام) عبدٌ صالح من عباد الله الصادقين،

=>

بالزندقة. وهّاه الخطيب البغدادي، ونقل بن عبد البر عن بن حيان أنه قال فيه: سيف متروك، وانما ذكرنا حديثه للمعرفة، ولم يعقب بن عبد البر عليه، وقال الفيروز آبادي، صاحب توالف، وذكره مع غيره وقال عنهم: ضعفاء. وقال بن حجر بعد إيراد حديث ورد في سنده اسمه: فيه ضعفاء أشدهم سيف. وقال صفي الدين ضعفوه، وروى له الترمذي فرد حديث.

أختاره الله لحمل رسالته من بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثالثاً: ما كانت هذه الفرية إلا حلقة من مسلسل الوضع على الشيعة، كما قال طه حسين (أبن سبأ شخص أدخره خصوم الشيعة للشيعة ولا وجود له في الخارج). وتستهدف هذه المحاولة تشويه عقائد الشيعة التي تنبع من القرآن والسنة، مثل الوصية والعصمة، فلم يجد أعداؤُهم طريقاً إلا ربط هذه العقائد بجذر يهودي، يكون بطلها شخصاً خيالياً أسمه عبد الله بن سبأ فيلقى اللوم بذلك عليه وعلى الذين أخذوا منه، وهذا بالإضافة إلى تعديل صورة الصحابة وتنزيههم عن اللوم والعتاب، بما جرى بينهم من فرقة واختلاف انتهت بقتل عثمان، وحرب الجمل التي تعتبر أكبر فاجعة بعد حادثة السقيفة، حيث راح ضحيتها آلاف من الصحابة، وما هذه القصة المفتعلة عن بن سبأ إلا تغطية على تلك الفترة الزمنية الحرجة، فألقوا مسؤولية ما حدث على هذه الشخصية الوهمية وأسدلوا الستار، ومن غير ذلك يكون الصحابة أنفسهم مسؤولين عما حدث، من انشقاق الأمة وتفرقهم إلى

مذاهب ومعتقدات شتى ولكن هيهات فكيف يتسنى لهذا الدخيل أن يعبث حتى غيَّر تاريخ الإسلام العقائدي، والصحابة شهود على ذلك؟!! فإذا لم يكن الصحابة قادرين على قيادة الأمة إلى بر الأمان في حياتهم، فكيف يقودوا الأمة بعد وفاتهم، فالذي فشل في حياته كيف ينجح بعد مماته؟!.

وعندما كنت أتحدث كان بعض الوهابية يصيحون الزمن الزمن. ولكن المحاضر صامتاً وكأن على رأسه الطير ولم يتفوه بكلمة واحدة، وشعرت بأنه يطلب المزيد ولذلك ما إن وضعت لاقطة الصوت وقلت لنا عودة.

قال: أسألك سؤالاً، هل عندك دليل صريح على ولاية علي بن أبي طالب وخلافته.

قلت: من القرآن، والسنة، والعقل، والتاريخ، فأيهما تحب؟ قال: من القرآن:

فحمدت الله في سري على هذه الفرصة الجديدة، وقلت: إن الآيات كثيرة في ذلك وسوف أذكر لك بعضها مع التوضيح:

أولاً: قوله تعالى:

{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}[1].

هذه الآية تطرح نفس ما قلناه وتؤكد أولاً: ضرورة الولاية في الدين.

وثانياً: استمرارية ولاية الله، وهي السلطة والحاكمية للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم من بعده الذين آمنوا الذين يؤتون الزكاة وهم راكعون.

أما ولاية الله فهي ثابتة بالذات، وأما ولاية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والذين أمنوا فهي بالتبع، فولاية الله في الأرض وحكومته لا تتم إلا باصطفاء بشر أعطاهم الله القوة التي تؤهلهم على أن يكونوا امتدادا لحكومة الله في الأرض، فلا يحق للإنسان، مطلق الإنسان، أن يتصرف في إدارة البلاد والعباد من غير إذن من الله، لأن الله هو الحاكم "إن الحكم إلا لله" ولا تتم حكومته في الأرض إلا إذا اصطفى الله حاكماً من عباده، ولذلك جاءت هذه الآية القرآنية صريحة في هذا المجال فأثبتت أولاً: ولاية الله ثم

1- سورة المائدة: آية /55.

أجرت هذه الولاية على الرسول ثم صرحت أن الولاية من بعد الرسول تكون مستمرة في الذين آمنوا وآتوا الزكاة في حال الركوع.

فدلالة هذه الآية على ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) تكون واضحة إذا أتضح أن المراد من قوله تعالى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}.

هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) والحمد لله إن هذا المعنى ثابت لما تواتر من الأخبار في نزول هذه الآية بخصوص علي بن أبي طالب[1]، وأذكر لكم هنا ما جاء

1- وقد روى هذا الخبر جمع من الصحابة منهم:

(1) أبو ذر الغفاري: وقد رواه عنه مجموعة من الحفاظ مثل:

آ- أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي في التفسير (الكشف والبيان عن تفسير القرآن).

ب- الحافظ الكبير الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج1 ص177 ط. بيروت.

ج- سبط بن الجوزي في التذكرة ص18.

د- الحافظ أبن حجر العسقلاني في (الكاف الشاف) ص65 ...وغيرهم من المحدثين والحفاظ.

(2) المقداد بن الأسود: وأخرجه عنه الحافظ الحسكاني في (شواهد التنزيل) ج1 ص171 ط. بيروت تحقيق المحمودي.

(3) أبورافع القبطي مولى رسول الله: أخرجها عنه مجموعة من الأعلام مثل

=>

=>

آ- الحافظ بن مردويه في كتاب (الفضائل).

ب- الحافظ جلال الدين السيوطي في (الدر المنثور) ج2 ص293.

ج- المحدث المتقي الهندي في (كنز العمال) ج1 ص305 ..وآخرون.

(4) عمار بن ياسر: وأخوج روايته:

آ- المحدث الكبير الطواني في (معجمه الأوسط).

ب- الحافظ أبو بكر بن مردويه في (الفضائل).

ج- الحافظ الحاكم الحسكاني في(شواهد التنويل).

د- الحافظ بن حجر العسقلاني في (الكاف الشاف) ص56 عن الطواني وبن مردويه.

(5) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): وأخوجها:

آ- الحاكم النيسابوري، الحافظ الكبير في كتاب (معرفة علوم الحديث) ص102 ط. مصر سنة 1937.

ب- الفقيه بن المغزلي الشافعي في (المناقب) ص311.

ج- الحافظ الحنفي الخوارزمي في (المناقب) ص 187.

د- الحافظ بن عساكر الدمشقي (تزيخ دمشق) ج2 ص 409 تحقيق المحمودي.

هـ - أبن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية)ج7 ص357 ط. بيروت.

و- الحافظ بن حجر العسقلاني في (الكاف الشاف في تخويج أحاديث الكشاف) ص56 ط. مصر.

ز- المحدث المتقي الهندي في(كنز العمال)ج15 ص 146 في باب فضائل علي (عليه السلام).

(6) عمرو بن العاص: أخوجها عنه الحافظ أخطب خوارزم أبو المؤيد في (المناقب) ص128.

(7) عبد الله بن سلام: أخوجها عنه محب الدين الطوي في (ذخائر العقبى) ص 102 . وفي الرياض النضوة ج2 ص 227.

<=

عن أبي ذر الغفاري في رواية طويلة أخوجها عنه الحاكم الحسكاني بسنده ج1 ص 177 ط. بيروت.

قال أبو ذر الغفاري (أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البدوي أبو ذر الغفاري، سمعت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بها تين وإلا فصمتا ورأيته بهاتين وإلا فعميتا، وهو يقول: علي قائد البررة قاتل الكفرة

منصور من نصوه ومخذول من خذله، أما إني صليتُ معرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً من الأيام صلاة الظهر،

=>

(8) عبد الله بن عباس: وأخوجها عنه:

آ- أحمد بن يحي البلاذري في (أنساب الأشواف) ج2 ص150 ط. بيروت، تحقيق المحمودي.

ب- الواحدي في (أسباب النزول) ص 192 ط. الأولى سنة 1389 تحقيق السد أحمد الصمد.

ج- الحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل) ج1 ص 18.

د- أبن المغازلي الشافعي في (المناقب) ص 314 تحقيق المحمودي.

هـ- الحافظ بن حجر العسقلاني في (الكاف الشاف) ط. مصر.

(9) جابر بن عبد الله الأنصاري: ومن الذين أخوجوها عنه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج1 ص 174.

(10) أنس بن مالك، وأخوجها عنه:

آ- الحافظ الحسكاني في (شواهد التنزيل).

ب- والجويني في فوائد السمطين ج1 ص187.

فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء، وقال: ألهم أشهد أني سألتُ في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)فلم يعضني أحدٌ شيئاً. وكان علي (عليه السلام)راكعا فَأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيها، فاقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما فرق النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إن أخي موسى سألك، فقال: **{رب أشرح صدري، ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وأجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي، أشدد به أزري وأشركه في أمري }** فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: **{ سنشد عضك بأخيك }** ، اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم فأشرح صدري، ويسر لي أمري وجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي أشدد به أزري، قال: فوالله ما استتم رسول الله (صلى الله عليه وآله سلم) الكلام حتى نزل عليه جبرئيل من عند الله، وقال: يا محمد هنيئاً ما وهب لك في أخيك، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): وما ذاك يا جبرئيل؟قال: أمر الله أمتك بموالاته إلى يوم القيامة،

وأنزل عليك **{إنما وليكم ...إلى آخر الآية }**.

فيكون معنى الآية بعد ذلك إنما وليكم الله ورسوله وعلي ابن أبي طالب (عليه السلام)،ولا يستشكل أحد، كيف خاطب الله الفرد بصيغة الجمع؟!

لأنه أمر جائز في لغة العرب، وهو ضرب من ضروب التعظيم، والشواهد على ذلك كثيرة، كقوله تعالى: **{ الذين قالوا أن**

الله فقير ونحن أغنياء } فالقائل هو حي بن أخطب، وقوله تعالى { ومنهم الذين يؤذون النبي يقولون هو أذنٌ } التوبة 61 وهذه الآية نزلت في رجل من المنافقين أما في الجلاس بن سويلم أو نبتل بن الحرث أو عتاب بن قشيرة، تفسير الطوسي ج8 ص 198.

ولا يستشكل أيضاً بأن معنى الولي هو المحب والناصر وإنما هو الأولى بالتصرف، والذي يدل على ذلك هو أن الله تعالى نفى أن يكون لنا وليٌ غيره تعالى وغير رسوله وغير { الذين أمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون } بلفظة (إنما)، ولو كان المقصود الموالاة في الدين، ما خص بها المذكورون، لان الموالاة في الدين عامة للمؤمنين

جميعاً. قال تعالى {المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض} فالتخصيص يدل على أن نوع الولاية يختلف عن ولاية المؤمنين لبعضهم البعض، فلا يكون المراد من قوله {الذين أمنوا الذين يقيمون الصلاة.. }مجمل ومطلق المؤمنين، وإنما تكون خاصة بعلي (عليه السلام) بدليل (إنما) التي تفيد التخصيص فتنفي جملة المؤمنين، وهذا بالإضافة للأحاديث التي أثبتت أن هذا الوصف {يؤتون الزكاة وهم راكعون } لم ينطبق على أحد ولم يدعيه أحد غير أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو كونه أتى الزكاة وهو راكع.

ثانياً: قوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} (المائدة: آية/ 67).

تعالوا لنتدبر في هذه الآية المباركة:

فإننا نلاحظ أن هذه الآية خاطبت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بلهجة غريبة "وإن لم تفعل" فمتى توانى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أمر تبليغ الرسالة حتى يخاطبه الله بقوله{وإن لم

تفعل} . فنستظهر من ذلك إن هذا الأمر الذي يأمر المولى بتبليغه في غاية الأهمية والشأن، هذا أولاً.

وثانياً: صعوبة تبليغ هذا الأمر من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذه الصعوبة تتحتم أن تكون من باب عدم قبول سائر الناس لهذا الأمر، وإلا لم تكن لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مصلحة في عدم تبليغه لهذا الأمر، ويؤكد ذلك ذيل الآية {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} أي بمعنى أنك ستواجه معارضة عنيفة في تبليغ هذا الأمر لدرجة أنه يمكن أن يُلحق الأذى برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهنا كفل الله له العصمة والضمانة.

وقوله تعالى: {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} إِنَّ هَذَا الأمر بلغ من الأهمية جعلته يوضع في كفة قبال كل الرسالة بما فيها من صبر على العناء والجهاد ودماء الشهداء وما لاقاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أذى حتى قال "ما أوذي نبي كما أوذيت"، يكون كل هذا لا اعتبار له إلا بتبليغ هذا الأمر.

فيا ترى ماذا يكون؟! هل الصيام، أم الزكاة أم الحج أو التوحيد وسائر المفردات العقائدية؟ لا يمكن

أن يكون ذلك لأن هذه الآية في سورة المائدة وهي مدنية، كما أنها من أواخر سور القرآن كما جاء في مستدرك الحاكم، هذا بالإضافة إلى نزول هذه الآية بالذات بعد حجة الوداع، وهي آخر حجة في الإسلام وكانت كل أحكام الدين مبلغةً وواضحة، فيكون الأمر خلاف ذلك وإنما له ربط بوفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فهل هنالك أمر غير تعيين الإمام والخليفة بعد الرسول، أمرٌ يكون بقاء الرسالة منوط به، حيث لولاه لما كانت رسالة، وهل هنالك أمرٌ وقع الخلاف فيه بين المسلمين غير الخلافة والولاية، كما قال الشهرستاني (ما سُل سيف في الإسلام كما سل في الخلافة) هذا بالإضافة لما أوضحناه في بداية حديثنا أن الإمامة والمرجعية الواحدة هي كفيلة بعصمة الأمة من الضلال فيتحتم أن يكون الأمر المراد تبليغه هو ذلك.

وهذا ما أثبته المفسرون، وأصحاب السير، ورواة الأحاديث بأن هذه الآية نزلت بخصوص علي بن أبي طالب (عليه السلام)، في غدير خم، ذكر السيوطي في

تفسيره (الدر المنثور) في تفسير الآية عن ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر بأسانيدهم عن أبي سعيد قال: (نزلت على رسول الله (ص) يوم غدير خم في علي) ونقل أيضاً عن ابن مردويه بإسناده إلى ابن مسعود قوله: (كنا نقرأ على عهد رسول الله. **{يا أيها الرسول بلغ ما نزل إليك من ربك أن علياً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس }** . وروى الواحدي في أسباب النزول ص150 عن أبي سعيد قال: (نزلت يوم غدير خم في علي). وروى الحافظ بن عساكر الشافعي، بإسناده عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت يوم غدير خم في علي بن أبي طالب[1].

فقد جاء عن زيد بن أرقم، أنه قال: لما نزل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بغدير خم، في رجوعه من حجة الوداع، وكان في وقت الضحى والحر شديد، أمر بالدوحات فقمن، ونادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا فخطب خطبة بليغة ثم قال: إن الله تعالى أنزل إلي

1- الدر المنثور ج2ص298، للتفصيل أرجع لكتابي الحقيقة الضائعة.

{بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} وقد أمرني جبرائيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أخي ووصي وخليفتي والإمام من بعدي.. فأعلموا معاشر الناس ذلك: فإن الله قد نصبه لكم وليا وإماماً، وفرض طاعته على كل أحد، ماضٍ حكمه جائز قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدقه، أسمعوا وأطيعوا، فإن الله مولاكم وعلي إمامكم، ثم الإمامة في ولده من صلبه إلى يوم القيامة.. ".

وبعدما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولاية علي التي لولاها لم يكتمل الدين، كما هو واضح من منطوق الآية: **{وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}** أما مفهومها (إذا بلغت أكملت الرسالة) ومن هنا نزل قوله تعالى **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**

وَأَتْمَمْتُ عُليكمَ نَعْمَتي وِرْضيت لكمَ الإسلام دَيُنا}[1] (سورَة مِائدَة: آية/3).

1 - وقد صرح بنزول هذه في علي كثيرٌ من المحدثين، وذكر منهم الأميني في كتابه الغدير ج1 ص 230 إلى ص 237 ستة عشر مصدراً، فراجع.

فإكمال الدين وإتمام النعمة ولاية علي(عليه السلام).

الآية الثالثة: {أَطِيعوُا اللهَّ وأطيَعوَا الرُسول وَأوُلي الأمُرْ مِنكم} (سورِة ٱلنُسٱء: آية/ 59).

هذه الآية تلخص ما أوضحناه بأن استمرارية الرسالة منوطة بطاعة الله ورسوله وطاعة أولي الأمر من بعد الرسول. ونجد هنا أن مفهوم الولاية وكأنه ثابت في فطرة الإنسان، ولذلك تتكي الآية عليه لإثبات حكم آخر، وهو الملاك والمناط الذي من خلاله نتعرف على ولي الأمر، وهو العصمة.

إن العصمة للوالي ثابته بالضرورة العقلية ولكن هذا ليس موضع حديثنا، ويكفي في هذا المقام أن الآية ظاهرة بل نص صريح في المدعي وهو العصمة. فإن الله سبحانه وتعالى أمر بطاعة ولي الأمر على سبيل الجزم، وكل من يأمر الله بطاعته على سبيل الجزم، لابد أن يكون معصوماً، وإلاّ اجتمع الأمر والنهي في موضع واحد وهذا محال، لأنه لا يأمر بالمعصية وينهي عنها. وتقرير ذلك إذا أمرنا الله بالطاعة الحتمية لولي الأمر، مع افتراض المعصية والخطأ منه، فتقع بالتبع المعصية والخطأ

منا لطاعتنا له، فيكون بذلك قد أمرنا الله بالمعصية والخطأ بطريقة غير مباشرة وفي الوقت نفسه قد نهانا الله عن الخطأ والمعصية، وهذا تناقض ومحُال فتتحتم وتتعين العصمة للإمام، وهذا هو المقياس الذي جعله الله لنا لنكتشف من خلاله المصداق الخارجي للإمام، وهذا يعني الكفر بكل والي أدعى خلافة المسلمين وهو غير معصوم فضلاً على أن يكون فاسقاً مجاهراً بالفجور.

ويا ترى من الذين كفل الله عصمتهم وطهارتهم حتى يكونوا ولاة أمورنا؟!.

لم نجد في آيات الذكر الحكيم، ولا أحاديث النبي الأمين ولا من بين دفات التاريخ، جماعة طهرهم الله وأذهب عنهم الرجس غير أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال تعالى: {إنَمَّا يرِيُد اللهُ ليَّذْهُبِ عُنْكِم الرِجَسْ أهل ٱلبيْت ويطَهْرَكم تطَهْيِرا} (سورة الأحزاب: آية/ 33).

وإفادة العصمة واضحة من هذه الآية وذلك لاستحالة تخلف المراد، إذا كان المريد هو الله سبحانه، وهي تطهير أهل البيت خاصة وأداة الحصر

(إنما) شاهدةٌ على ذلك، وهذا بالإضافة لتأكيدات رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) على تعضيد هذا المعنى، كما في

حديث الثقلين "إني أوشك أن أُدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن الطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما". ومن المعلوم أن القرآن معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأهل البيت متلازمون معه إلى الحوض، فإن كان يأتيهم الباطل كانوا حتماً يفترقون عن القرآن وهذا ما أكد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على عدمه بـ(لن) التي تفيد التأبيد (لن يفترقا) وغيره من النصوص الدالة على ذلك مثل قوله "علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار"[1].

1 - أخرجه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج 7 ص 235. وكنز الحقائق ص70. وأرجح المطالب ص 598. وكتاب المناقب للفقيه الحافظ أبي الحسن الشافعي ص 244 . ورواه الترمزي في فضائل علي والمستدرك أيضاً ج 6 ص 124 ، و الصواعق لابن حجر في الفصل الخامس الباب الأول الشبهة (11).

وبذلك تكون الآية نصاً في ولاية أهل البيت، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) فيكون معنى الآية (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وعلي بن أبي طالب)، وأولاده الأحد عشر[1]، وغيرها من الآيات الدالة على ذلك فبعضها نصّ في الأمر وبعضها ظاهر الدلالة، ويمكنك أن تراجع في ذلك كتاب ابن حجر (الصواعق المحرقة) باب ما نزل في أهل البيت(عليهم السلام) من القرآن.

وبعدما وضعت لاقطة الصوت وانصرفت، لم يعقب الوهابي المتحدث على كلامي ولو بنصف

1 - روى القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص104 منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت (ذكر يحيى بن الحسن في كتاب العمدة من عشرين طريقاً أن الخلفاء من بعد النبي (ص) اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش، في البخاري من ثلاثة طرق، وفي مسلم من تسعة طرق، وفي أبي داود من ثلاثة طرق، وفي الترمزي من طريق واحد، وفي الحميدي من ثلاثة طرق. ففي البخاري عن جابر رفعه: يكون من بعدي اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها فسألت أبي: ماذا قال: كلهم من قريش، وفي مسلم عن عامر بن سعد، قال: كتبتُ إلى ابن سمرة أخبرني بشيء سمعته من النبي (ص) فكتب إلي: سمعت رسول الله (ص) يوم عشية رجم الأسلمي، يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش).

كلمة، وبينما هو في سكوته رفع أحد إخواننا يده وهو طالب في الجامعة فأذن له المحاضر وكان يظن أنه وهابي أتى لنجدته.

وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال:

لي نقطة: أود أن أقولها قبل أن أورد ملاحظاتي على الشيخ، وهي عندما يتحدث الشيخ عن السودان وكأنه مستعمرة لمحمد بن عبد الوهاب، وأن دخول التشيع يُعد أمراً شاذاً إلى هذا البلد الطيب، وأقول له من باب رد الحجر من حيث أتى، وأنت من الذي أدخلك إلى السودان، فهل تظنه مقاطعة من صحراي نجد؟!!، إن السودان بلد فطر على حب محمد وآل محمد وأنتم الغرباء لا نحن[1].

أما النقطة الثانية: هي مسألة الارتداد في عصر النبي الأكرم، والتي لم يبتدعها الشيعة من عند أنفسهم، بل طفحت بها الكتب المعتمدة لديكم، كالبخاري ومسلم وغيرهما، وهي واضحة بحيث لا يشك فيها أحد، هذا إذا لم نأخذ بالاعتبار الآيات

1- مع العلم أن المتحدث كان وهابياً متشدداً هداه الله إلى التشيع.

القرآنية المتحدثة في هذا المجال، إن الردة يا شيخ قد حدثت ولم تقدر أنت ولا من معك ولا من كان قبلك ولا من سيأتي بعدك على إنكارها، وحروب الردة التي قامت في صدر الإسلام فهي تؤكد أن هناك حق ارتد عنه ولذا نشب القتال، فحاصل الأمر إن هناك ارتداد أم تقول إن الذين قاتلهم أبو بكر كانوا أمريكان؟ ولم يكونوا مسلمين.

وأما النقطة الثالثة: هل فات الشيخ أنه يخاطب عقولاً ناضجة وصلت إلى هذه المرحلة أم أنه يستهزئ بها. إن وصف الشيعة باليهودية أمرٌ لا يقبله العقل، والدليل على ذلك أيها الشيخ من الذي يدافع عن الإسلام اليوم ضد الزحف اليهودي؟ إلى من ينتمي حزب الله في لبنان وحركة المقاومة الإسلامية؟ إن وصفاً كهذا يُسفهٌ قائله قبل أي شخص آخر، فزجو احترام العقول هنا.

وبعد أن أكمل الطالب حديثه قال له الوهابي لي سؤال واحد.

فقد ذكرت في حديثك أن مجموعة من الصحابة ارتدوا فهل تستطيع أن تذكر لي أسماءهم؟.

فرد عليه قائلاً لا أذكر.

فقال الشيخ أتخاف أن تكشف عقيدتك.

وفي هذه اللحظة طلبت من الوهابي أن أجيب أنا على هذا السؤال ولكنه رفض وقال لماذا لا يجيب هو.

فقال الطالب: الأسود العنسي.

الشيخ: فيك الخير سمي واحد غيره فقلت لصديقنا: قل لا أعلم، وبعد إصرار مني سمح الوهابي لي بالإجابة على هذا السؤال.

فقلت إن القضية لا تثبت موضوعها ونقاشنا الآن في مجمل القضية وهي هل كان هناك ارتداد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!.

وقد أثبتت ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فقد أثبت القرآن وجود المنافقين، ولم يذكر أسماءهم وذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك ولم يحدد أسماءهم، فكيف تطالبني بشيء سكت عنه الله ورسوله، ونحن نلتزم بقولهم، فعندما يقول تعالى: **{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ}** فنَقُولُ نحنَ كما قَالَ

الله سبحانه وتعالى إن بعض الصحابة انقلبوا وهم الأكثرية ولا تزيد على ذلك، وكذلك نقول عندما يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما جاء في البخاري ومسلم.

روى البخاري في تفسير سورة المائدة، باب أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك، وتفسير سورة الأنبياء، كما رواه الترمذي في

أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحشر، وتفسير سورة طه: (وإنه يجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يارب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح **{وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنتَ أنت الرقيب عليهم }** ، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم، مُذ فارقتهم).

وروى البخاري في كتاب الدعوات باب الحوض، وبن ماجة كتاب المناسك باب الخطبة يوم النحر، كما أورده أحمد بن حنبل بطرق متعددة: (يردن عليَّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم، اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا

بعدك) كما رواه مسلم أيضاً في كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا الحديث 40.

وهنا قاطعني الوهابي قائلاً: إن سؤالي محدد فمارأيك مثلاً في السيدة عائشة؟.

قلت أنا وأنت لم يزامن السيدة عائشة، وكل ما نعرفه عنها هو عبر مصادر التاريخ، وأنا مستعد أن نجمع كل المصادر ونبحث في شخصيتها، وما نخرج منه من البحث الذي يكون ملزماً لنا.

فالسؤال في هذه الأمور لا يجاب عنه ارتجالا.

فقال الوهابي: هكذا دائماً يراوغ الشيعة ويستخدمون التقية في إخفاء عقائدهم، فإنهم يكفرون الصحابة ومن بينهم أبو بكر وعمر، ويكفرون أمهات المؤمنين، وهنا تعالت الأصوات بالصراخ من قبل الوهابية الجلوس، تندد بالشيعة وتصرح بكفرهم.

وبعد أن توتر الجو فضلنا الانسحاب لأنه لا يسمح بالحوار والبرهان.

أحداث يوم الجمعة

وهو يوم اللقاء الثاني مع الوهابية، وكان برنامجهم المُعد في هذا اليوم ركن نقاش بعنوان(هذا أو الطوفان).

بعد انتشار أنباء يوم الخميس والهزيمة النكراء التي أثبتت ضحالتهم الفكرية، أكتظ المكان بالرواد، حتى من بعض المدن المجاورة، لأن موضوع الشيعة أصبح الحدث الفريد الذي كسب اهتمامات الناس، ومن الطريف في هذا المقام أن كثيراً من الناس في بادئ الأمر كانوا يتوقعون أن الشيعة سوف يهربون من المناقشة والمواجهة، ولكن بعد يوم الخميس انعكست الصورة، فكان الكثير يراهن على أن الوهابية سوف ينسحبون من يوم الجمعة.

بدأ ركن النقاش بآيات من الذكر الحكيم، ثم بدأ الوهابي حديثه، وهو أيضاً مستعار من مدينة (مدني) ومتخصص في إدارة أركان النقاش، كما يقول هو عن نفسه أنه عشر سنوات خلف لاقطة الصوت من ركن إلى ركن، وهذا إن دل إنما يدل على

عظيم

الصفحة 77

الفجيعة التي ألمت بالوهابية مما جعلهم يرسلون استغاثاتهم إلى جنوب الخرطوم.

ثم بدأ حديثه بالتأصيل للخط الوهابي السلفي الذي كاد أن ينحسر وجوده في المدينة، فتلخص حديثه في موضوع التوحيد والشرك، وصفات الله، وعدالة الصحابة، والبدعة، ولم يذكر حرف الشين من الشيعة مع أن المعلوم هو مواصلة الحديث عن التشيع، فهذا التصرف دل عند الجميع على انسحاب الوهابية من حلبة النقاش، فصممت بيني وبين نفسي أن أستغل هذه الفرصة وأوجه الضربة القاصلة بفضح هذه العقائد وتوضيح فسادها بالتفصيل.

وبعد أن أتمّ حديثه في التوحيد، مركزًا فيه على أن التوسل وزيارة القبور والأضرحة من أنواع الشرك الجلي. تحدث عن الصفات قائلاً: إن منهج السلف هو أمرار كل الصفات التي جاء بها القرآن كما هي من غير تأويل وتشبيه، وإن كل منهج غير هذا هو بدعة مخالف لما نقل عن الصحابة الأبرار.

وبعد أن أتيحت الفرصة للمشاركة والنقاش سُمِح لي بالحديث فقلت: أرجو منك أن تمنحني الفرصة

الصفحة 78

الكافية لأتناول بالتفصيل التوحيد والشرك وصفات الله ومفهوم البدعة.

أولاً: أن توحيد الله سبحانه وتعالى من أشرف ما يتصف به الإنسان، ومعرفه من أشرف المعارف، ولذلك نجد كل الرسالات السماوية كان جُلَّ اهتمامها هو نشر التوحيد، بل كان هو الحد الفاصل بين أتباع الرسالة وغيرهم، ومن هنا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقاتل الكفار حتى يقولوا (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فإذا قالوها عصموا بها دماءهم وأعراضهم وأموالهم، وهذا مما لا يختلف فيه مسلمان على وجه هذه الأرض منذ البعثة إلى أن جاء محمد بن عبد الوهاب، فَقتَلَ المؤمنين الموحدين تحت راية التوحيد وهذا مما أكده أخوه سليمان بن عبد الوهاب في كتابه (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية) ثم قرأت له مقطعاً من كلامه:

(من قبل زمان الإمام أحمد في زمن أئمة الإسلام حتى مليت بلاد الإسلام كلها ولم يرو عن أحد من أئمة المسلمين أنهم كفروا بذلك ولا قالوا هؤلاء مرتدون ولا أمروا بجهادهم، ولا سموا بلاد

الصفحة 79

المسلمين بلاد شركٍ وحرب كما قلتم أنتم بل كفرتم من لم يكفر بهذه الأفاعيل وإن لم يفعلها، وتمضي القرون على الأئمة من ثمانمائة عام ومع هذا لم يرو عن عالم من علماء المسلمين أنه كفر بل ما يظن هذا عاقل، بل والله لازم قولكم أن جميع الأمة بعد زمان أحمد (رحمه الله تعالى) علمؤها وأمرؤها وعامتها كلهم كفار مرتدون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، واغوثاه إلى الله! ثم واغوثاه أن تقولوا كما يقول بعض عامتكم أن الحجة ما قامت إلا بكم).

ويقول أيضاً: (فإن اليوم ابتُلي الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة ويستنبط من علومها ولا يبالي من خالفه. وإذا طلبت منه

أن يعوض كلامه على أهل العلم لم يفعل، بل يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه، ومن خالفه فهو عنده كافر، هذا وهو لم تكن فيه خصلة واحدة من فعال أهل الاجتهاد لا والله،ولا عُشر واحدٍ، مع هذا فواح كلامه ينطلي على كثير من الجهال، فإنا لله وإنا إليه راجعون، الأمة كلها تصيح بلسان واحد، ومع هذا لا يرد لهم في كلمة بل كلهم كفار وجهال: اللهم أهد

هذا الضال ورده إلى الحق).

هذا ما يدعوا إليه الوهابية من التوحيد، وهو في الواقع تكفير كل المسلمين ووصفهم بالشرك، كما يقول محمد بن عبد الوهاب (إن مشركي زماننا . أي المسلمين . أغلظ شركاً من الأولين، لأن أولئك يشركون في الرخاء ويوحدون في الشدة، وهؤلاء شركهم في الحالتين لقوله تعالى **{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}** (سورة العنكبوت: آية/ 56).

ونحن عادةً نناقش الوهابية في أمور فرعية تتفرع من مفهومهم العام للتوحيد والشرك، وأنا هنا أريد أن أحول مسار النقاش من الفروع إلى الأصول والمفاهيم العامة في تحديد مناط العبادة.

إن مفهوم العبادة عند الوهابية هو " مطلق الخضوع والتذلل وتكريم وتعظيم غير الله ".

إذا سلمنا مع الوهابية... بصحة هذا المفهوم فإننا لا يمكن أن نعاتبهم على النتائج التي يمكن الوصول إليها، فعندما نرى مسلماً يتمسح ويتبرك بضريح فإن مفهوم العبادة الذي سلمنا به سوف ينطبق عليه، لأنه

يتذلل لغير الله فيكون بذلك عابداً للضريح وبالتالي يكون مشركاً، وهذا استنتاج منطقي صحيح وفقاً للقاعدة التي تقول (كل متذلل لغير الله مشرك، وهذا متذلل، إذاً هذا مشرك)، ولكن الحقيقة والواقع إن الكبرى[1] غير مسلم بها، فكل متذلل لغير الله مشرك كاذبة، وهذه بديهة عقلية وعقلائية، ويمكن معرفة ذلك من الواقع الذي يعيشه أي إنسان، فإن من طبيعة البشر الإحترام بل من الأخلاق في بعض الأحيان التذلل لبعضنا البعض كتذلل التلميذ لأستاذه، وقد جعل القرآن الكريم شعار المؤمن التذلل للمؤمن {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} كما أمرنا الله سبحانه وتعالى بتعظيم الوالدين والتذلل لهم {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} (سورة الإسراء: آية/ 24)، وأكثر من ذلك إن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم، والسجود كما تعلمون أكمل مرتبة في الخضوع والتذلل، فإذا كان كما تدعي الوهابية فتكون كل

1 - أي كبرى القياس، فالقياس ينقسم إلى كبرى، وصغرى، ونتيجة، فالكبرى هنا كل متذلل.. والصغرى، هذا متذلل، والنتيجة هذا مشرك.

الملائكة مشركه وإبليس هو الموحد الوحيد لأنه رفض السجود، ولا يمكن أن يحتج محتج بأن السجود هنا كان بأمر الله لأن الله لا يأمر بالشرك والباطل إذا كانت ماهية السجود هي العبادة، قال تعالى: { قل إن الله لا يأمُرُ بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون } الأعراف آية 28 ، إلا إذا قلنا إن أصل السجود ليس عبادة وهو الحق، أما إذا كان عبادة ولكن الله أمر بها فإن الأمر الإلهي لا يغير ما هية الشيء لأنها من لوازم الموضوع ولا يمكن أن يتصور الموضوع معزول عن الماهية. ومما يدل أيضاً إن ماهية السجود ليس عبادة سجود سيدنا يعقوب وأولاده لسيدنا يوسف قال تعالى: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً} (يوسف: آية/100). فإن هذا السجود لم يكن بالأمر الإلهي كما إن الله سبحانه لم يعاتب نبيه على ذلك ولم يصفه بالشرك.

فإذاً لا يمكن أن يكون أي خضوع أو تذلل عبادة، ولابد أن يكون هناك ملاكٌ آخر أكثر دقة وهو مسألة الاعتقاد، فإن الخضوع إذا كان مقترناً

بالإعتقاد، بألوهية المخضوع لَهُ، فيكون هذا الخضوع عبادة بل إن أي تصوف يكون بدافع الاعتقاد لغير الله فهو مصداقٌ للشرك، فالخضوع والتذلل بمعزٍ له ليس شركاً والإعتقاد في غير الله شرك وإن كان من غير خضوع أو تذلل، فيتضح من ذلك أن العبادة هي خضوع مقترن بالاعتقاد في غير الله تعالى، أما الخضوع والتذلل من غير اعتقاد يمكن أن يناقش من جهة الحسن والقبح، وهذا دائر مدار العناوين التي تطرأ على التذلل، فمثلاً يكون تذلل المؤمن لغير المؤمن قبيح، ونفس هذا التذلل عندما يكون من المؤمن للمؤمنين يكون حسناً بل هو مستحب، فإذاً هو خارج تخصصاً عن مبحث التوحيد والشرك، وسحبه على هذا البحث يكون مقدمة فاسدة تؤدي إلى نتائج حتماً فاسدة.

أما قولك إن هؤلاء الجهال يطلبون من الميت ويتوسلون به، وهو لا ينفع ولا يضر، أو يطلبون حتى من الحي طلباً لا يقدر على فعله فهو شرك.

هذا الكلام لا يقبله جاهل فضلاً عن عالم لأن هذا بعيدٌ كل البعد عن مورد الشرك، فإن معنى الميت

لا ينفع ولا يضر غير تام، لأن الحي بهذا المعنى لا ينفع ولا يضر أيضاً، وبما أن الحي ينفع ويضر بإذن الله كذلك الميت، فليس هناك استقلالية بالفعل سواء من الحي أو الميت، وبذلك لا يكون هنالك غوابة في الطلب من الميت لأنه كالطلب من الحي، وإنما يكون البحث كل البحث عن جدوى الطلب أو عدم جدواه، وهذا خارج جملةً وتفصيلاً عن مسار البحث، ولتوضيح الصورة أضرب لكم مثالاً: إذا طلبت من شخص أن يحضر لي كأساً من الماء هل في هذا شرك قال الجميع لا.

وفي نفس الوقت إذا طلبت هذا الطلب من نفس هذا الإنسان ولكنه كان نائماً فهو في الواقع لا يقدر على فعل هذا الأمر، ولكن هل يمكن أن تقول أنك مشرك لأنه لا يقدر، قالوا بكلمة واحدة لا.

بل أكثر ما يمكن أن يقال في حقي أن طلبك طلب عبثي لا جدوى منه، أو سميني حتى مجنوناً ولكن لا تصِفنْي بالشرك.

وبهذا عرفنا إن عدم القدرة على الفعل ليست ملاكاً في التوحيد والشرك.

أما كلامك إن طلب الأمور المادية لا إشكال فيها وإنما الشرك هو طلب الأمور الغيبية التي لا يقدر عليها إلا الله.

فأنَّ في هذا الكلام مغالطة لأن السنن المادية أو الغيبية ليسَ لها دخل في ملاك التوحيد والشرك، وأنا بدوري أسأل: هل هذه السنن هي مستقلة عن الله بمعنى أنها تعمل بقدرة ذاتية منفصلة عن الله أم أنها بإذن الله وإرادته؟ وهنا المحور، فإذا تعامل معها الإنسان باعتبار أنها مستقلة فهو مشرك سواءً كانت مادية أو غيبية، أما إذا كان باعتبار أنها قائمة بالله تعالى وبإذنه فهذا هو عين التوحيد، وأقرِّب لكم هذه الصورة بمثال: إذا مرض إنسان فمن الطبيعي أنه سيذهب إلى الطبيب، فإذا كان ينظر له بأنه قادر على شفائه بقدرة ذاتية منفصلة عن الله كان مشركاً ولا يشك في ذلك اثنان، أما إنه يشفي المريض بقدرة الله وإرادته فلا إشكال في ذلك بل هو عين التوحيد، فمن هنا نعرف إن السنة والسبب ليس لها اعتبار بعنوان أنه مادي أو غيبي وإن مدار الكلام هو الاعتقاد باستقلالية هذه الأسباب أو عدم استقلاليتها، وتحت

هذه القاعدة يمكن أن نقيس كل موضوع سواء كان طلب إحضار كأس من الماء أو طلب الذرية والولد من ولي من أولياء الله وكلاهما محكومٌ . بالقاعدة.

أما قولك "لا يقدر عليها إلا الله" بهذا المعنى الذي أطلقته لا يوجد شيء في صفحة الوجود يقدر على فعل شيء، وإنما القادر الحقيقي هو الله، ولكن المسألة لا تؤخذ بهذا الإطلاق، كما إن الله أعطى الإنسان القدرة على فعل بعض الأشياء بإذنه ومشيئته، أعطى عباداً من عباده أسراراً وقدرات لم يعطيها لغيرهم، مثلما كان عند الأنبياء من إحياء الموتى وشفاء المرضى، بل حتى

ما كان عند أتباع الأنبياء مثل إحضار عرش بلقيس والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم.

وقبل أن ابدأ بالكلام في مسألة الصفات الإلهية وبُعد الوهابية عن معرفتها، جاء المتحدث الوهابي وأخذ مني لاقطة الصوت بقوة، فلم أستجب لاستفزازه وسلمته لها بكل هدوء حتى أضمن لنفسي فرصة جديدة، وأنا أعلم يقيناً أنه لا يستطيع أن يرد على كلمة واحدة مما ذكرت.

الصفحة 87

فبدأ حديثه قائلاً: شيعة أم شيوعية! آه تذكرت قد كان لي صديق في الجامعة في نفس الغرفة التي أسكن فيها، وكان شيعياً متعصباً، يؤمن بأن القرآن محرف وكان عنده مصحف أسمه مصحف فاطمة، وكانت طبعته أجمل من طبعة الملك فهد، والذي يعجبني فيه أنه يعلن كل عقائده بصراحة، فهو يعتقد بكفر كل الصحابة وإن مؤسسهم هو عبدالله بن سبأ، وإنه يعبد الحجر. هؤلاء سذج لا يعرفون التشيع قد خدعهم الشيعة ولم يعرّفوهم على العقائد الحقيقية، والشيعة لا يعرفون إلا السفسطة والفلسفة. وبدأ بالسب والشتم.

أما كلامي فرد عليه بكلمة واحدة وكأنه أبطل كل حججي.

أما المتحدث الشيعي فننصحه بان يتصفح إي كتاب في أصول الفقه حتى يجد أن شرع من كان قبلنا ليس واجباً علينا فلا يستدل بسجود أخوة يوسف.

رفعت يدي مصراً لتتاح لي الفرصة، حتى أتحدث عن أساليب الحوار، والتعاطي مع الطرف الأخر، وعن أهمية البرهان، على ضوء المنهج

الصفحة 88

القرآني، الذي فتح الباب على مصراعيه للحرية الفكرية التي عبر عنها بقوله **{قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}**.

وأردت أن أبين أن كلامه خارج تخصصاً عن محل البحث فما دخل هذا الكلام فيما طرحته من أدلة على بطلان نظرة الوهابية للتوحيد؟!! فهو كالذي يقول أحلى العسل أم أطول الشجر؟.

وكان كل خوفي أن نتزل نحن إلى مستواهم من سب وشتم وتشتيت المواضيع، ولكن للأسف لم تتاح لي فرصة إلى آخر ركن النقاش، بل لم تتاح الفرصة لأي شيعي. وفي المقابل كان الباب مفتوحاً للوهابية الذين لم يزيدوا غير السِباب، وعندما أتيحت الفرصة لأحد الطلبة وهو من جماعة الأخوان المسلمين استبشرنا بذلك، فلعله يكون منصفاً، ولكنه لم يختلف عنهم كثيراً.

فبدأ حديثه قائلاً: أننا لا نستطيع أن نكفر أحداً بعينه، ولكن يمكننا أن نكفر منهجاً، ورفع صوته صارخاً، فالتشيع كفر في منهجه وتوجهه وكل تعليماته، فأشعل بذلك حماس الوهابية فتعالت

الصفحة 89

صرخاتهم بالتكبير وبشعارات الواعدة من الشيعة، فقرروا وجوب مقاطعتهم في الجامعة، فلا يجوز لأي مسلم سني أن

يتعامل معهم أياً كان نوع التعامل، فلا يجوز السلام عليهم، كما لا يجب رد سلامهم، فتوتر الجو إلى أبعد الحدود، ولكن وبحمد الله لم ينجحوا في ذلك، فإن طلبة الجامعة كانوا أكثر تحرراً وعقلانية، فلم يستجيبوا لمحظوراتهم التي شوعوها وكأنهم مراجع الأمة الإسلامية، وإن كان هنالك نجاح فإنني منعت من الدخول إلى الجامعة بعد تلك الأحداث بداعي أمن الجامعة.

الصفحة 90

الصفحة 91

الجلسة الثانية: مع الدكتور عمر مسعود

وبعد هذه الأحداث الساخنة، زرت الدكتور في مكتبه في كلية التجارة، وسألني ما دار بيننا وبين الوهابية، وقد كانت الأخبار عنده بالتفصيل.

قال: إن المشكلة التي تعيشها الوهابية هي الجهل المركب من مصاولة للآراء والاتهام بالباطل، فنحن كنا نسمع إن الشيعة يقولون أن الرسالة كانت يفترض أن تأتي لعلي بن أبي طالب، ولكن عندما بحثنا لم نجد لذلك أثراً، وكنا نسمع أن للشيعة مصحف اسمه (مصحف فاطمة) ولكن لا واقع له، وكنا نسمع أن عبدالله بن سبأ هو مؤسس الشيعة، فبحثنا فوجدنا أنه شخصية خرافية، فما بال الوهابية يرددون هذه الاتهامات الباطلة، وبأي حق يتحدثون عن الشيعة؟! فقد طلب مني قبل أيام أنا والدكتور علوان والدكتور أبشر، وأحد مشايخ الوهابية، إقامة ندوة عن الشيعة في الجامعة ولكني اعتذرت وعلى ما يبدو اعتذر الدكتور علوان، والدكتور أبشر، وقلت لهم بأي حقٍ أتحدث عن الشيعة فأكون الحاكم، والقاضي، والجلاد،

الصفحة 92

فأقول الشيعة يقولون كذا وحكمهم كذا، فهذه مصاولة، فكل صاحب مذهب يجب أن يُسأل عن مذهبه، هذه هي المنهجية العلمية، فلا يمكن بداعي خلافي مع الوهابية ألصق بهم ما ليس فيهم، فمثلاً كنا نسمع أن محمد بن عبد الوهاب، كان يقول إن عصاي أفضل من محمد ولكن عند البحث العلمي تبين أن هذه المقولة ليست ثابتة، فلا يجوز أن أنسبها له، وكثير من الكتب التي ألفت ضدهم، فليس كل ما فيها حقٌ وصواب، وأذكر أني كنت في سوة إلى الخرطوم فجاءني أحد الأخوان الأوفياء بكتاب وقال أن هذا الكتاب يرد كيد الوهابية، وإذا هو كتاب (مذكرات مستر هنفر) وبعد قراءته قلت له إن هذا الكتاب لا يمكن أن أستفيد منه شيئاً فهو خارج عن المنهج العلمي، وهو أقرب للافتراء من الحق.

وأيضاً ليس ما يقوله الوهابية في جماعتنا التجانية بحق، وأذكر أن أحد مشايخنا وعلمائنا الكبار وهو الحافظ المصري إلتقى بأحد الوهابية فسأله الوهابي عن مذهبه فقال تجاني.

فقال الوهابي: أعوذ بالله.

الصفحة 93

فقال له أن الذي استعذت منه ليس نحن.

قال: كيف، ألستم تقولون أن صلاة الفاتح أفضل من القرآن.

قال: لا.

ألستم تقولون كذا، قال: لا، ألستم تقولون كذا وكذا وكذا.

قال: لا.

فتعجب، فقال له: إنكم تحملون صورة في أذهانكم لا تمت إلى الواقع بصلة.

كما أنه ذكر لي قصة مفصلة عن لقاءاته مع المسيحية وقال إنه أستدعي إلى الخرطوم، لمناقشة مجموعة من علماء المسيحية، الذين حضروا من الغرب، وأنه كيف عجز الآخرين عن ردهم لأنهم لم يسألوهم عن اعتقاداتهم، بل كانوا يهاجموهم وهم ينفون الاتهام.

ولم يفحموا إلا بعد ما طلبت منهم أن يتحدثوا عن أنفسهم.

وقد فصل كثيراً في منهجية التعامل مع الأطراف المخالفة، ولم يطرح في هذه الجلسة

موضوع للنقاش بينما رغم أنها طالت أربع ساعات، وقد سررت بكلامه لأننا بهذا الحديث أمنا هجومه علينا، وخاصة إنه شخصية موثوقة اجتماعياً، وله أتباع ومريدون وكلمته مسموعة، فحرصت أن لا أثيره بأي موضوع.

وبعد هذه الجلسة، ذهبت معه في سيارته إلى مدينة عطبره حيث يوجد مجموعة من إخواننا الشيعة حتى أنقل لهم هذه الأخبار السارة.

ولكن سرعان ما صدمت عندما أخبروني أن هنالك مناظرة، بينهم وبين الدكتور عمر مسعود، وموضوع المناظرة عصمة الأئمة.

قلت: نحن مستعدون أن نناظر في أي مبحث من عقائدنا، ونفحم أي طرف بالدليل، ولكن الذي يحيرني أنه مضت ساعات من لقاءي مع الدكتور، ولم يذكر لي هذا الأمر فلعله لا يدري؟!.

قالوا: لا، بل هو الذي دعا، وقد وزعت الإعلانات في كل مكان، ومكتوب عليها (حوار ساخن بين الشيعة والدكتور عمر مسعود).

فصممنا أن نستوفي كل الأدلة، عن عصمة

الأئمة، ونرد على كل الإشكاليات، ورشَّحني الأخوة على أن أدير النقاش معه.

وبعد ما حان وقت الموعد، انطلقنا إلى دار التيجانية، وقد إكتظت بالحضور، وما إن رآني الدكتور حتى بدت علامات التردد عليه، فقال لي: هل جاء الأخوة الذين سوف يحاورونني، وكأنه لا يريدني أن أتدخل، بل هو كذلك، والدليل عليه إننا

أول ما جلسنا كنا بمحاذاته من الجهة اليمنى، فقال لا يمكن أن ألتفت على يميني دائماً، فالذي يريد مناقشتي فليجلس أمامي، فقمنا ولكنه أمسك بيدي، وقال أجلس أنت بالقرب مني، وكأنني لم أكن مقصوداً بالنقاش.

وبعد تلاوة من آيات الذكر الحكيم، قدموا ممثل الشيعة للحديث عن عصمة الأئمة.

فحمدت الله، وصليت على خاتم الأنبياء، وأهل بيته الطاهرين، فأظهر الدكتور عدم ارتياحه من تدخلي.

قلت: قبل أن أبدأ حديثي، عن مسألة العصمة وأدلتها من القرآن، والسنة، والعقل، أحب أن ابدي هذه الملاحظة، وهي من الذي دعا إلى هذا الحوار؟

إذا كان إخواننا الشيعة، فعلى الدكتور أن يحدد محاور النقاش، ولا غضاضة في ذلك، أما إذا كان هو الداعي، فعلينا تحديد محاور النقاش، لأن مسألة العصمة ليست عقيدة مجردة، وإنما ترتبط بواقع عقائدي متكامل، فالمسألة التي يجب أن تناقش هي الإمامة، وضرورتها، وشروطها، على ضوء المنهج القرآني، والعقلي، فتأتي تبعاً لذلك مسألة العصمة، فأنا أسأل أستاذي الدكتور، هل كان هو الذي دعا الشيعة للحوار؟.

بدأ حديثه بعد الحمد، والصلاة قائلاً: أنا من طبيعتي الذاتية وتكوين شخصيتي، إنسان يمكن أن تسميني منعزل، ومنطوي فليس أنا من دعاة المناظرات، ولا الحوارات، والمحاضرات[1]، والدليل على ذلك أن الأستاذ معتصم جلس معي هذا اليوم أربع ساعات، ثم ذكر ما دار بيننا، وقال إنني لم أتخيل أن الأستاذ معتصم سيتدخل في هذا الحوار، لأنه لا توجد بيننا حواجز ومكتبي مفتوحٌ له طول

1- مع العلم أنه في نفس تلك الأيام دارت بينه وبين الوهابية مجموعة من المناظرات بعنوان (ابن تيمية صوفي).

اليوم، وهذا هو أمامكم اسألوه عن العلاقة التي بيننا، فالمفروض منه أن يختبر في مثل هذه الجلسة جماعته من الشيعة، وهل هم استوعبوا الدروس التي تلقوها منه، ثم قال أدعو لرفع هذه الجلسة.

فشكرته، وقلت نحن أيضاً ليس من عادتنا أن نطرق الأبواب، وندعو أهلها للمناظرات، وما دمت دعوت لرفع الجلسة فنحن لا نصر عليها.

وفي هذا الحين تدخل أحد الحضور، ووجه لي سؤالاً قائلاً: أسألك سؤال مستفهم مستفسر وليس مناظر عن رأي الشيعة في مسألة العصمة وأدلتهم على ذلك.

قلت: له إن الأدلة متعددة، ولكن ليس المكان مكاني، ولا المجلس مجلسي، فإذا أذن لي الدكتور.. فقاطعني الدكتور قائلاً لقد دعوتكم لرفع هذه الجلسة.

وبهذا انتهت المناظرة ورفعت الجلسة.

حوار مع شيخ الوهابية

وبعد تلك الأحداث مباشرةً، سافرت إلى شمال السودان مدينة (مروي)، وأول ما لاحظته في تلك المنطقة النشاط الوهابي المتزايد، وبعد ما استطلعت الأمر وجدت إن المؤثر الأول في ذلك النشاط هو شيخ يسمى (مصطفى دنقلا)، وهو يسكن في منطقة بالقرب من مروي، تسمى (الدبيبة) فسعيت للوصول إليه، وذات مرة ذهبت إلى سوق شعبي في منطقة تسمى (تنقاسي) فأشار لي أحد الأخوان وكان مرافقاً لي، أن ذلك الرجل هو (مصطفى دنقلا) الذي تسأل عنه، فأسرعت إليه، وبعد السلام قلت له: أنا شخص غريب عن هذه المنطقة، وهدفي الوحيد في هذه الحياة هو البحث عن الحقيقة، وسمعت أنك من أكبر المشايخ في المنطقة، فأحببت أن استفيد من علمك، فاستبشر بذلك وأمسك يدي وقال: تعال ولا داعي للمواعيد، وجلسنا في منطقة هادئة من السوق.

فقلت له قبل الدخول في البحث في أي موضوع، يجب أن نتفق على أساليب الحوار، والأخذ

والعطاء، فإن أسلوب التلقين ليس مجدياً في حقي، فإن العقيدة التي تقوم على الحوار، والنقاش والدليل، والبرهان، عقيدة صلبة، لا تزلزلها العواصف.

قاطعني قائلاً: وهذا ما ندعو إليه.

فقلت: إذاً ما هي نظرة الإنسان الباحث للإسلام؟.

هل يعتبر أن الإسلام هو ذلك الذي يكون في بيئته ومجتمعه؟.

أم أنه أوسع من ذلك فيشمل الإسلام بشتى مدارسه ومذاهبه الحاضرة أو التي كانت في التاريخ؟.

وهذه النظرة الشاملة، هي التي تكسب الإنسان نوعاً من الحرية، تمكنه من معرفة الطائفة المحقة، لأنها المقدمة للتحرر من كل قيود البيئة والمجتمع، كما أن هذه النظرة تكسب الإنسان نوعاً من الأنصاف، في التعاطي مع الأطراف المتعددة، ومن هنا أطلب منك أن لا تحاكمني بمسلماتك باعتبار أنها حقيقة، لأنها لابد أن تثبت بالدليل أولاً، ثم تكون صالحة للمحاكمة، كما يقولون (ثبت العرش، ثم أنقش

عليه) كما إنني لا أقبل منك أن تجعل الموروث الديني والحالة الدينية في المجتمع هي الحاكم بيننا، لأن المجتمع السوداني وإن كان مجتمعاً متديناً، إلا أنه لا يكون ممثلاً لكل المذاهب الإسلامية، فما هو إلا حالة واحدة من تلك الحالات المتعددة، وهي نفسها لا ندّعي إن مجتمعنا قد استوعبها بشكلٍ كامل.

إذاً لابد أن نحدد مقاييس ثابتة تكون هي مدار حجتنا وملزمة للطرفين، وعلى ما يبدو أننا يمكن أن نتفق على القرآن والسنة والعقل، رغم أن السُنة حجيتها ليست مكتملة، لأننا سوف نعتمد على مرويات مدرسة واحدة، وهم أهل السنة مع العلم، أن هناك مدارس أخرى لها مروياتها الخاصة، ولكن من أجل الوصول إلى الفائدة، يمكن أن نعتمد على مصادرهم.

استغرب الوهابي كثيراً من هذا الكلام، وهو لا يدري إلى أي طريق أسلك به، ولكنه وافق على ما قلت مع علمي الكامل أنه لا يلتزم به.

فقلت له: إذاً نبدأ البحث، وسوف ينحصر في التوحيد وصفات الله، ثم في الطريق الذي يجب أن

تسلكه الأمة من بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإذا تكرمت شيخنا وبدأت بالكلام.

فأبتدأ الشيخ قائلاً: إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، وإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد، وعلى أهله، واصحابه أجمعين، وبعد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (افترقت اليهود، إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى إلى اثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي إلى ثلاثة وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، فقيل ما هي يا رسول الله، قال ما كنت عليها أنا وأصحابي).

وقد بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) بهذا الحديث إن الفرقة الناجية هي واحدة، وباقي الفرق كلها في ضلال، وإلى النار، وكما بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن الفرقة الناجية، هي ما كان عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واصحابه، وهذا بيان صريح من الرسول على أن الفرقة الناجية هم السلف الصالح، ومن تبع نهجهم، وهذا كافي لنا كمكلفين أن نتبع منهج

السلف، ولا نهتم بمذاهب الضلال، فالطائفة المحقة هم أهل السنة والجماعة، وهم أكثر الطوائف إعتدالاً، لأنها سلمت بما جاء به الرسل وصحابته الكرام، ولا نريد أن نخوض في الطوائف الأخرى، ونوضح مدى ضلالها فمجرد معرفة الطائفة المحقة، كافٍ للحكم على البقية بالضلالة.

أما صفات الله سبحانه وتعالى، فعلى حسب قول الطائفة المحقة، إن هذه الصفات التي أخبر بها القرآن، نجريها كما جاءت من غير تأويل، فمثلاً قوله تعالى: (يد الله فوق أيديهم) فلا يمكن أن نؤول معنى اليد، وفي الوقت نفسه لا نثبت لها معنى خاص، فلا تقول إن يد الله تعني قدرته، لأنه لا دليل على ذلك، وإنما نثبت لله يداً من غير كيف، وهذا ما قال به السلف الصالح، فلم يُروى منهم على الإطلاق، رأي مخالف لما قلناه، وهذا دليل على صواب هذا الرأي، لأن السلف أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأعلم الناس بالقرآن، وعدم اختلافهم دليل على صدق قولهم، أما الطوائف الأخرى فقد ذهبت بعيداً في آيات الصفات، فكل طائفة تؤولها على حسب

هواها، فالقائلين بالتأويل لم يتفقوا على معنى معين، وهذا وحده دليل على البطلان، فيتحتم أن يكون الطريق أمامنا هو

إجراء هذه الصفات، كما جاءت من غير تأويل، وكما قال السلف: في مثل هذا المقام، (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة) ولا أعتقد أن إنساناً يخاف الله ويطلب الحق، يجادل في هذه المسألة.

استفزتني هذه الكلمة، فقاطعته قائلاً:

ـ أولاً: إن الطائفة المحقة هم أهل السنة، لأنهم ساروا على منهج السلف، وذلك لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الفرقة الناجية (ما كنت عليه أنا وأصحابي)، فإن الموضوع أوسع من المدعي، وبصورة أخرى إن الصغرى غير تامة، فمن الذي يقول إن الذي عليه أنتم هو نفس ما كان عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه؟!!.

وكون أهل السنة هم الطائفة الوحيدة، التي جسدت ما كان عليه رسول الله وأصحابه، هذه مصادره من غير دليل. لأن كل الطوائف تدعي وصلاً بليلى.

وثانياً: الإختلافات الكبيرة جداً بين أهل السنة هي دليل على بطلان ما تدّعي، فليس هناك في الواقع مذهب واحد متكامل يسمى أهل السنة، وكل ما هنالك عنوان يسمى أهل السنة، تنطوي تحته مجموعة من المدارس، التي تختلف في أبسط المسائل الفقهية، بل حتى في طريقة التعامل مع السلف، فأي أهل السنة والجماعة تقصد؟! هل هم الوهابية؟ ويوجد هنالك من يدعون أنهم أهل السنة، ويكفرون الوهابية، فلا تعمم الكلام ولا تحاول أن تزمني بالعناوين الفضفاضة.

أما كلامك في الصفات الإلهية، فيكتنفه نوع من الغموض، فما معنى أن نثبت لله ما أثبته لنفسه من غير كيف؟! فهذا التنوير لا يقبله صاحب عقل سليم، لأن الجهل بالكيفية، لا يغير عنوان القضية، وهو لا يتعدى أن يكون إبهاماً وألغاز، لأن إثبات هذه الألفاظ، هو عين إثبات معانيها الحقيقية، وصرفها عن معناها الحقيقي هو عين التأويل الذي أنكرته، وإثبات المعنى الحقيقي لها لا ينسجم مع عدم الكيفية، لأن الألفاظ قائمة بمعانيها، والمعاني قائمة بالكيفية، وإجراء هذه الصفات بمعانيها المتعارفة هو عين التجسيم،

والتشبيه، والاعتذار بقولك (بلا كيف)، لا يتعدى أن يكون لقلقة لسان، وإذا كانت هذه الألفاظ الجوفاء تكفي لإثبات التنزيه لله عز وجل فلا إشكال على من يقول إن لله جسم، بلا كيف، ولا كالأجسام، وله دم بلا كيف، ولحم، وشعر، و... بلا كيف، كما قال أحد الحشوية (إنما استحييت عن إثبات الفرج واللحية وأعفوني عنهما واسأل عن ما وراء ذلك) كما ذكرها الشهرستاني في الملل والنحل.

وإنما مشكلتكم هي التقليد في العقائد من غير تفكير، مع أن التقليد في باب العقائد لا يجوز، فإذا فكرت جيداً في ما نسبته للسلف، من قولهم (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعه) تجد أن هذا الكلام متهافت لأبعد الحدود، لأن الاستواء إذا كان معلوماً، فالكيف بالتالي يكون معلوماً، وإذا كان الكيف مجهولاً، فكذلك الاستواء يكون مجهولاً، ولا ينفصل عنه فالعلم بالاستواء، هو عين العلم بالكيفية، والعقل لا يفرق بين وصف الشيء، وبين كيفيته، لأنهما شيء واحد، فإذا قلت فلان

جالس فعلمك بجلوسه، هو علمك بكيفيته، فعندما تقول الاستواء

الصفحة 107

معلوم فنفس العلم بالاستواء، هو العلم بالكيفية، وإلا فيكون في كلامك تناقض، بل هو التناقض بعينه، فكل تبرير بعدم الكيف مع إجراء المعاني الحقيقية للألفاظ، هو تناقض وتهافت، فقولك إن لله يداً بلا كيف، كلام ينقض آخره أوله، والعكس، لأن اليد بالمعنى الحقيقي لها تلك الكيفية المعلومة، ونفي الكيفية منها هو نفي لحقيقتها.

قاطعني قائلاً: ماذا نفهم من هذا الكلام، هل تخالف السلف الصالح (رضوان الله عليهم)، وتؤول هذه الآيات.

قلت: أولاً إن مجرد نسبة هذه الأفكار إلى السلف، لا يكسبها قدسية يمنعها من النقاش.

ثانياً: إن السلف الذين تدعي إتباعهم، لم يقولوا ما قلت، بل كانوا يوجهون تلك الآيات القرآنية، التي جاءت في باب الصفات غير توجيهكم، وفي الواقع أن نسبة هذه الأفكار إلى ابن تيميه وابن عبد الوهاب أقرب وأصدق من نسبتها إلى السلف، وحتى تتأكد من ذلك، إرجع إلى أي تفسير من التفاسير المأثورة في باب الصفات، لتجد تأويلات السلف واضحة لهذه

الصفحة 108

الآيات.

جاء في تفسير الطبري، في تفسير قوله تعالى {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} (سورة البقرة: آية /255)، التي إعتبرها ابن تيميه من أعظم آيات الصفات، نجد أن الطبري يروي حديثين بإسناد إلى ابن عباس قال: أختلف أهل التأويل في معنى الكرسي، فقال بعضهم هو علم الله تعالى ذكره، وذكر من قال ذلك بإسناده، إن ابن عباس قال كرسيه علمه. ورواية أخرى بإسناده عن أبن عباس قال كرسيه علمه ألا ترى (لا يؤده حفظهما)[1].

وفي تفسير الطبري نفسه، ينقل في تفسير قوله تعالى {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} يقول (اختلف أهل البحث في معنى قوله) وهو العلي العظيم، فقال بعضهم يعني بتلك هو عليٌّ عن النظير والأشباه، وأنكروا أن يكون معنى ذلك هو العلي: المكان: وقالوا غير جائز أن يخلو منه مكان، ولا يعني بوصفه بعلو المكان لأن ذلك وصف بأنه في مكان دون مكان.

1- الحقيقة الضائعة ص282 نقلاً من تفسير الطبري ج3 ص927.

الصفحة 109

وإليك شاهد أخر في تفسير قوله تعالى {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ} (سورة القصص: آية/ 88)، وقوله {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ} (سورة الرحمن: آية/27)، قال الطبري (وأختلف في معنى قوله إلا وجهه، فقال بعضهم كل شيء هالك إلا هو، وقال آخرون معنى ذلك إلا ما أريد به وجهه، واستشهدوا بقول الشاعر:

الصفحة 110

أستغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل

وقال البغوي: إلا وجهه أي إلا هو، وقيل إلا ملكه.

قال أبو العالية: إلا ما أُريد به وجهه [1].

وفي الدر المنثور للسيوطي عن أبن عباس قال: المعنى إلا ما يريد به وجهه.

وعن مجاهد: إلا ما أُريد به وجهه.

وعن سفيان: إلا ما أُريد به وجهه من الأعمال الصالحة.

هذا قول السلف، وأنا لم أخالف قولهم بل أنتم الذين تخالفونهم وتنسبون لهم ما ليس فيهم.

ثالثاً: نحن لا ندعو إلى التأويل في مثل هذه الآيات، فلا يجوز صرف ظاهر الكتاب والسنة بحجة أنها تخالف العقل فلا يوجد في القرآن والسنة ما يخالف العقل، وما يتبادر من الظاهر أنه مخالف ليس

1- الحقيقة الضائعة ص383.

بظاهر، وإنما يتخيلونه ظاهر.

ولتوضيح ذلك لابد أن تفهم أن اللغة في مدلولها تنقسم إلى قسمين:

1. دلالة إفرادية.
2. دلالة تركيبية أو كما يسميها علماء المنطق والأصول دلاله تصورية ودلالة تصديقية.

فقد يختلف المعنى الإفرادي، عن المعنى التركيبي، في الكلمة الواحدة إذا وجدت قرائن في الجملة تصرفها عن معناها الإفرادي، فمثلاً عندما أقول (أسد) ينصرف الذهن إلى الحيوان ولكن عندما أقول (أسد يقود سيارة) فإن الذهن سينصرف إلى الرجل الشجاع، فمعنى أي كلمة لابد أن يلاحظ فيه السياق والقرائن المتصلة والمنفصلة، وهذا هو ديدن العرب في فهم الكلام، ولذلك الذي يفهم بهذه الطريقة لا يسمى مؤولاً للنص خارجاً عن الظاهر، وهكذا الحال في مثل هذه الآيات، ففي قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) فيكون المعنى الظاهر من اليد هي القوة والتأييد الإلهي من غير تأويل، كالذي يقول: البلد في يد السلطان، أي تحت تصرفه وإدارته، ويصح هذا

القول وإن كان السلطان مقطوع اليد، وكذلك في بقيه الآيات فلا يمكن أن تثبت معنى الكلمة من غير ملاحظة السياق وهذا هو الأخذ بالظاهر بعينه.

بدأت الحرة على وجه الوهابي وهو لا يدري ماذا يقول إلا أنه قاطعني قائلاً: هذا الكلام فيه تكلف ومراوغة فالإسلام دين يسر، ولا يحتمل هذه السفسطة، فقد خاطب علماؤنا المسلمين بأبسط الكلمات من غير تعقيد وتكلف، وقد أجمع المسلمون على فضلهم وأعلميتهم، مثل الإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيميه، فإنهم بتوفيق الله ردوا على أصحاب المذاهب الباطلة، بأوضح البراهين، ولم يقولوا كلمة واحدة مما قلت مع إنهم لا يجرؤ على مخالفتهم أحد.

فمن أنت وما هو مذهبك، فإني لا أراك إلا من المعتزلة الذين يتمنطقون بالكلام.

يا شيخنا ألم أقل لك إنك تجتر ما قاله ابن تيميه، وابن عبد الوهاب، من غير تدبر، فإن هؤلاء كلامهم لا يتجاوزهم، وهو حجة عليهم لا علينا، وخص الله سبحانه كل إنسان بعقل، ولا يحاكمنا بعقولهم، هذا

بالإضافة إلى أن هؤلاء لم يكونوا موضع إجماع الأمة، فقد خالفهم جل علماء المسلمين، وكان أكثر مخالفيهم من علماء أهل السنة والجماعة.

قال الذهبي في رسالته لابن تيميه: (يا خيبة من أتبعك، فإنه معرضٌ للزندقة، والانحلال، ولا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطنياً شهوانياً، فهل أتباعك إلا قعيد، مربوط، خفيف العقل؟.

أو عامي كذاب بليد الذهن؟.

أو غريب واجم قوي المكر؟.

أو ناشف طالح عديم الفهم؟!.

فإن لم تصدقني ففتشهم وزنهم بالعقل)[1].

وجاء في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج1 ص141.

(فمن هنا وهناك ردوا عليه، ما ابتدعته يده الأثيمة من المخاريق التافهة، والآراء المحدثة، الشاذة، عن الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ونودي عليه بدمشق: من اعتقد عقيدة ابن تيميه، حلَّ دمه

1- الغدير الجزء السابع ص528.

وماله).

هذا، غير عشرات الكتب التي ردت على ابن تيميه وكشفت عقائده الباطلة مثل كتاب (الدرر المضيه في الرد على ابن تيميه) للحافظ عبد الكافي السكي ويكفيك في هذا المقام ما قاله الحافظ شهاب الدين بن حجر الهيثمي في ترجمته لابن تيميه.

(ابن تيميه عبدٌ خذله الله، وأضله، وأعماه، وأصمه، وأذله، بذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذبوا أقواله).

هذا غيضٌ من فيض من علماء أهل السنة في ابن تيميه، أما الطوائف الأخرى فمجمعين على ضلاله وسخافة رأيه.

أما ابن عبد الوهاب فإنه لا يمثل شيئاً حتى يخص بالكلام.

وهنا رفع صوته صارخاً من أين تأتي بهذا الكلام؟!.

وأنا لا أسمح لك أبداً أن تتحدث بهذه الطريقة عن علمائنا العظام، وما أنت إلا رجل مجادل تملأ العلماء، فمن تكون أنت مقابل شيخ الإسلام ابن تيميه

فاسمع: إذا كنت صادقاً فيما تقول تعال لنتباهل، وانتصب واقفاً وقال قم أيها المفتي، قم حتى تباهلني والله إني أراك وقد خسف الله بك الأرض.

وهو على هذا الصراخ حتى اجتمع الناس حولنا وهو يقول إنه رافضي إنه شيعي وقد خدعني بعد ما ظننت فيه الخير.

قلت: إهدأ أيها الشيخ والله إني لا أراك إلا هارباً من الحوار، فلم نتحدث بعد عن عدالة الصحابة.

قال: اسكت أن الصحابة عدالتهم أوضح وأكبر من أن نختلف فيها، وإن كنت تؤمن بما تقول قم وباهلني.

قلت: أنا موافق على المباهلة، ولكن قبلها أريد أن أطلب منك طلباً أمام كل الحضور، وهو أن تقيم معي مناظرة علنية أمام جميع أهل هذه البلد، حتى لا يبقى لوجودك ولا لوجود أمثالك أثر.

أما المباهلة، أتهددني أنت بالمباهلة، وقد باهل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأئمتي نصارى نجران، والله لو أقسمت على الله بحقهم لمسخت قرداً يلعب بك الصبيان، ولكن نحن لا نختبر ربنا إنما الله

هو الذي يختبرنا.

ووقفت قائماً وقلت: هيا إبدأ بالمباهلة، فبدأ الخوف على وجهه.

ـ ابدأ لماذا سكت؟

قال: أباهلك على البخاري ومسلم، فضحكت، وانتهرته.. يا أحمق، مالبخاري ومسلم، حتى نتباهل حولهم، وإنما أباهلك بأن مذهب التشيع مذهب أهل البيت، الأئمة الأثني عشر هو الحق وما غيره باطل.

فسكت ثم قال: أنا لا اباهلك في أهل البيت.

ـ وعلى أي شيء نتحدث، أعلى غير إمامة أهل البيت.

قال: أنا لا أبا هلك رحمةً بك، وانصرف.

قلت: سبحان الله، فإن الراحم هو الله، كيف ترحمني وعندكم هذا من مصاديق الشرك

الجلسة الثالثة: مع الدكتور عمر مسعود

بعد رجوعي من مدينة (مرويَّ) وأنا في طريقي إلى الخرطوم، مررت بجامعة وادي النيل، كلية التجارة، فالتقيت بالدكتور عمر مسعود، ودار بيني وبينه حوار حول صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية.

الدكتور: أنتم تقولون إن الإمام الحسن (عليه السلام) معصوم ونحن نقول أنه من الصحابة العظام، ومرتبته عالية عند كل المسلمين، ولكنه غير معصوم، وهذه هي النظرة الصحيحة، لأن القول بعصمة الإمام الحسن (عليه السلام) مع إنه صالح معاوية فيكون هذا الصلح أعطى الشرعية لمعاوية، فيستلزم أن تكون كل الدماء التي سفكها بنو أمية في التاريخ، ومن جاء بعدهم، وكل ما جرى على الأمة الإسلامية من مصائب، يرجع ذنبه للإمام الحسن، ولا جدال في ذلك، إذا قلنا بعصمة الإمام الحسن، أما إذا قلنا على حسب ما نرى إنه رجلٌ مجتهد اجتهد وأخطأ، فله أجر الاجتهاد، ولا يستلزم ذلك أن نحمله ما جرى،

وهذا يدل على أن أهل السنة تقدس الإمام الحسن (عليه السلام) أكثر من الشيعة، بل الشيعة يلحقون الذنب به، من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

ـ لم أفهم ما هو وجه الملازمة، بين أن يكون الإنسان معصوماً، وبين أن نحمله ذنب الآخرين.

ـ أنا لم اقل ذلك على إطلاقه، وإنما بخصوص حادثة محدودة، وهذه الحادثة غيرت مسار الأمة الإسلامية، فالملازمة موجودة، فإذا لم يصالح الإمام الحسن (عليه السلام) وثار كما ثار أخوه الحسين (عليه السلام)، لكان مصير الأمة غير الذي

كانت عليه، بل كان بإمكانه أن يجلس في بيته كما فعل عبدالله بن عمر وغيره ولا يصالح ولا يبايع.

ـ أولاً: هذا الكلام خلاف الفرض فإذا ثبتت عصمته فيكون كل ما يفعله هو عين الصواب سواء صالح أو حارب والمعصوم لا يحاسب.

ثانياً: هناك مهم وأهم. وتراحم في المصالح، فحكم الإمام الحسن (عليه السلام) مصلحة، والحفاظ على بيضة الإسلام مصلحة، فصلح الإمام هو تقديم مصلحة الحفاظ على بيضة الإسلام على مصلحة

حكمه، خاصة إن الظروف كانت تعاكسه تماماً بعد أن خذله جماعته وهرب منه قادة جيشه، كما حدث لنبي الله هارون عندما جعله موسى خليفة على بني إسرائيل، فأضلهم السامري وعبدوا العجل، فصبر هارون على ذلك لمصلحة عدم التفريق بين بني إسرائيل قال تعالى: **{قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي }** [1].

ـ هذا الكلام ضعيف جداً، ويمكن أن يقال كتبرير لاجتهاده الخاطيء، إذا قلنا بالرأي الثاني، إنه أجتهد وأخطأ وسبب اجتهاده وخطأه هو ما ذكرته، فكلامك ينسجم مع القول الثاني لا القول بالعصمة.

ـ لا أنكر ما قلته، ولكن هذا لا ينفي أن يكون معصوماً خاصة إن عصمته ثابتة بالقرآن والسنة وبحكم العقل، وبعد ثبوت العصمة لا يمكن أن يقدح فيها، لوجود حادثة لم تفهم مقاصدها وإلا يعتبر خلف.

ـ خُلف بالنسبة لكم، أما نحن فلا نسلم بالعصمة.

1- سورة طه 94.

ـ إذاً يتحدد النقاش ويتعين في مسالة العصمة، والأدلة عليها، أما صلح الإمام الحسن (عليه السلام) فلا يكون كافياً لإثبات العصمة، أو نفيها، وخاصة إنه كان صلح المغلوب على أمره، وليس هو كعبد الله بن عمر، فإن عبدالله لا يشكل خطراً على الدولة الأموية كالإمام الحسن، ولذلك كان أخذ البيعة منه من أهم الأمور، حتى وإن لم يبايع كل المسلمين، فبالتالي لا يكون هنالك ملازمة بين صلحه وما جرى على المسلمين في العهد الأموي لأنه لا خيار غيره.

ـ هذا الكلام غير مقنع وكافي وكل الشيعة يقولون بالظروف.

وفي هذه الأثناء دخل علينا الدكتور أبشر العوض، وهو متخصص في علم الحديث، وقد كان أستاذي في الجامعة في علم مصطلح الحديث، فما إن رآني حتى سلم علي ببشاشة وقال: أين هذه الغيبة الطويلة.

وقبل أن أجيب، تدخل الدكتور عمر قائلاً: معتصم الآن صار من الشيعة الكبار وقد درس في الحوزة العلمية وله كتاب إسمه "الحقيقة الضائعة".

قال: الدكتور أبشر: وما هي المواضيع التي تناقشها في هذا الكتاب.

قلت: موضوعه هو الخلاف بين السنة والشيعة، وقد اثبت فيه مما لا يدع مجالاً للشك إن الشيعة هي الطائفة المحقة وغيرها باطل وضلال.

وهنا تدخل الدكتور عمر قائلاً: أي فرقة في الشيعة تقصد الزيدية، أم الإمامية، أم الإسماعيلية، فالفرق الشيعيّة متعددة فأيهما الحق.

ـ سماحة الدكتور، بغض النظر عن هذه التفاصيل، فنحن الآن أمام إطار عام وعناوين مجردة، وبعد تجاوزها يكون المجال مفتوحاً لمناقشة التفاصيل، والإطار العام هو وجوب أتباع أهل البيت والأخذ عنهم، ويمكننا أن نثبت هذا الإطار بشتى الطرق سواء كان قرآناً أو سنة، ويكفيك مفرقة واحدة بين السنة والشيعة وهو أخذ الشيعة بحديث (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي) وتمسك أهل السنة بحديث (كتاب الله وسنتي) وهذا الشاهد كافي في الحكم بأحقية الشيعة، وبطلان أهل السنة في هذه

الحيثية، وهكذا يمكن أن نتوج في بقية المسائل.

ـ وهنا واصل الدكتور عمر قائلاً: إن حديث العترة نؤمن به ولكن لا نفهم منه ما فهمته الشيعة فإن الحديث يدل على التمسك بالقرآن فحسب.

ـ قلت: سبحان الله إن واو العطف في الحديث واضحة (كتاب الله وعترتي) هذا بالإضافة إلى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (الثقلان) (ما إن تمسكتم بهما).

ـ عارضني قائلاً: ليس كل واو دالة على العطف فإن للواو معاني عدة ولقد كتبت رسالة خاصة في هذا المورد.

ـ لا خلاف في ذلك، ولكن معنى كل حرف يعرف من خلال السياق العام للجملة فسياق الحديث واضح في العطف في قوله (الثقلين) (وما أن تمسكتم بهما) كافية لإثبات المدعى، وهو وجوب اتباع أهل البيت ـ قال على العموم، ليس لنا اعتراض على مذهب أهل البيت(ع) ونحن نعتقد أنه الحق، ولكنه لم يتعين لنا، ولو تعين لكنت أول الناس أتباعاً له.

ـ قلت: لماذا تتبعه.

ـ قال: لأنه الحق.

ـ قلت: وما عليه أنت الآن؟! فإذا كان مذهب أهل البيت فقد تعين لك، وإن كان لا فإذاً أنت على ضلالة، بحكمك على نفسك.

قال: هذه سفسطة وفي هذه الأثناء أستأذن الدكتور ابشر وأخذ يتحدث مع الدكتور عمر في موضوع جانبي، فاستأذنته وخرجت لعلمي أنه ليس هناك فائدة

حوار مع المحدّث والحافظ الدمشقي

عبد القادر الأرنؤوطي

حدثَ لي أثناء إقامتي في الشام لقاء مع الشيخ عبد القادر الأرنؤوطي، وهو من علماء الشام وله إجازة في علم الحديث.

وقد تمَ هذا اللقاء من غير إعداد مني، وإنما كان عن طريق الصدفة..

كان لي أحد الأصدقاء السودانيين إسمه عادل، تعرفت عليه في منطقة السيدةزينب(ع) وقد أنارَ الله قلبه بنور أهل البيت(ع) وتشيع لهم، وامتاز هذا الأخ بصفات حميدة قل ما تجدها في غيره، وقد أجبرته الظروف على العمل في إحدى المزارع في منطقة تُسمى (العادلية) (9 كم) تقريباً جنوب السيدةزينب(ع). وكان بجوار المزرعة التي يعمل بها مزرعة أخرى لرجل كبير السن متديّن يكنى بأبي سليمان.

فعندما عرفَ هذا الجار أن السوداني الذي يعمل بجواره شيعي، جاء إليه وتحدث معه، قائلاً:

ـ يا أخي السودانيون سُنّة طيبون.. من أين لك بالتشيع؟!. هل في أسرتك أحد شيعي؟.

قال عادل: لا، ولكن الدين والقناعة لا تبتني على تقليد المجتمع والأسرة.

قال: إن الشيعة يكذبون ويخدعون العامة.

قال عادل: أنا لم أر منهم ذلك.

قال: بلى نحن نعرفهم جيداً.

قال عادل: يا حاج، هل تؤمن بالبخاري ومسلم وصحاح السنة؟.

قال: نعم.

قال عادل: إن الشيعة يستدلون على أي عقيدة يؤمنون بها من هذه المصادر، فضلاً عن مصادرهم.

قال: إنهم يكذبون ولهم بخاري ومسلم محرَّف.

قال عادل: إنهم لم يأتوني بكتاب مخصص، بل طلبوا مني أن أبحث في أي مكتبة في العالم العربي.

قال: هذا كذبٌ، وأنا من واجبي أن أردَّك مرة أخرى إلى السنةّ، وإن يهدي بك الله رجل واحد خير لك مما طلعت عليه الشمس".

قال عادل: نحن طالبي حق وهدى، نميل مع الدليل حيثما مال.

قال: سأحضر لك أكبر عالم في دمشق، وهو العلامة عبد القادر الأرنؤوطي، عالمٌ جليل، ومحدّث حافظ، وقد حاول الشيعة إغواءه بالملايين حتى يصبح معهم، ولكنه رفض..

وافق . الأخ . عادل على هذا الطرح، وقال له أبو سليمان: موعدنا يوم الاثنين أنت وكل السودانيين الذين تأثروا بالفكر الشيعي.

جاء إليَّ عادل، وأخبرني بما حدث، وطلب مني أن أذهب معه.. وبفرحة شديدة قبلت هذا العرض، وتواعدتُ معه يوم الاثنين بتاريخ 8 / صفر / 1417 هـ من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، في تمام الساعة 12 ظهراً.

وكان يوماً شديد الحر، تقابلنا في الموعد، وانطلقنا إلى المزرعة مع ثلاثة من السودانيين، وبعد وصولنا كان الأخ عادل في استقبالنا في مزرعة خضراء تحفها الأشجار المثمرة من الخوخ والتفاح والتوت وغيرها من الفواكه التي لا توجد عندنا في

السودان.

وبعدها أخذنا نحث الخطى إلى مزرعة جاره السني، فاستقبلنا بحفاوة بالغة، وبعد قليل من الاستجمام في ذلك المكان الذي تحيط به الخضرة من كل حدبٍ، قمتُ إلى صلاة الظهر، وفي أثناء الصلاة، جاءت قافلة في مقدمتها سيارة تحمل الشيخ الأرنؤوطي، وقد امتلأ المكان بالناس وخارج المبني بالسيارات، وعلت الدهشة وجوه أصحابي السودانيين من هيبة هذا المقام، لأنهم لم يتصوروا أن الأمر بهذا الحجم. وبعدما استقر كل واحد في مكانه، اخترتُ مكاناً بجوار الشيخ.

وبعد أجواء التعريف بين الجميع، تحدّث صاحب المزرعة مع الشيخ قائلاً: إن هؤلاء إخواننا من السودان وقد تأثروا بالتشيع في السيدة زينب، وبينهم واحد شيعي يعمل في المزرعة التي بجوارنا.

قال الشيخ: أين هذا الشيعي؟.

قالوا له: ذهب إلى مزرعته وسيرجع بعد قليل.

قال: إذن نؤخر الحديث إلى رجوعه.

ذهب إليه أحد السودانيين وأحضره إلى

المجلس، وقد استغل الشيخُ هذه الفرصة، بذكر أحاديث كثيرة يحفظها عن ظهر قلب، وكان موضوعها أفضلية بعض البلدان على بعض وخاصة الشام ودمشق، وقد أخذ هذا الموضوع حوالي نصف ساعة .وهو موضوع لا جدوى فيه .، وقد تعجبت منه كثيراً كيف لا يستغل هذا الظرف، وقد أعاره الجميع عقولهم بحديث يستفيدون منه في دينهم ودنياهم.

ثم قال: إن دين الله لا يؤخذ بالحسب والنسب، وقد جعل الله شرعه لكل الناس، فبأي حق نأخذ ديننا من أهل البيت؟ وقد أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتمسك بكتاب الله وسنته وهو حديث صحيح لا يستطيع أحد تضعيفه،ولا يوجد عندنا طريق آخر غير هذا الطريق. وضرب بيده على ظهر عادل وقال له: يابني، لا يُغرنكَ كلام الشيعة.

استوقفته قائلاً:

ـ سماحة الشيخ، نحن باحثون عن الحق، وقد اختلط علينا الأمر وجئنا كي نستفيد منك عندما عرفنا أنك عالم جليل ومحدّث وحافظ.

قال: نعم.

قلت: من البديهيات، التي لا يتغافل عنها إلا أعمى، أن المسلمين قد تقسّموا إلى طوائف، ومذاهب متعددة وكل فرقة تدَّعي أنها الحق وغيرها باطل. فكيف يتسنى لي، وأنا مكلف بشرع الله أن أعرف الحق من بين هذه الخطوط المتناقضة؟ هل أراد الله لنا أن نكون متفرقين، أم أراد أن نكون على ملة واحدة، نُدين الله بتشريع واحد؟ وإذا كان نعم، ما هي الضمانة التي تركها الله ورسوله لنا لكي تُحصن الأمة من الضلالة؟.

مع العلم أن أول ما وقع الخلاف بين المسلمين كان بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة، فليس جائز في حق الرسول أن يترك أمته من غير هدى يستوشدون به.

قال الشيخ: إن الضمانة التي تركها رسول الله لتمنع الأمة من الاختلاف قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وسنتي".

قلتُ: لقد ذكرتَ قبل قليل، في معرض كلامك قد

يكون هناك حديث لا أصل له، أي غير مذكور في كتب الحديث.

قال: نعم.

قلتُ له: هذا الحديث لا أصل له في الصحاح الستة، فكيف تقول به، وأنت رجل محدّث؟.

هنا، شبت نار، وأخذ يصرخ قائلاً: ماذا تقصد، هل تريد أن تضعّف هذا الحديث.

تعجبتُ من هذه الطريقة، وعن سبب هيجانه، مع أنني لم أقل شيئاً.

فقلت: مهلاً، إن سؤالي واحد ومحدد، هل يوجد هذا الحديث في الصحاح الستة؟.

قال: الصحاح ليست ستة، وكتب الحديث كثيرة، وإن هذا الحديث يوجد في كتاب الموطأ للإمام مالك.

قلت (متوجهاً إلى الحضور): حسناً، قد اعترف الشيخ أن هذا الحديث، لا وجود له في الصحاح الستة، ويوجد في موطأ مالك.

فقاطعني (بلهجة شديدة) قائلاً: شو، الموطأ مو كتاب حديث؟.

قلتُ: الموطأ كتاب حديث ولكن حديث: "كتاب

الله وسنتي"، مرسل في الموطأ من غير سند . مع العلم أن كل أحاديث الموطأ مسندة ..

هنا صرخ الشيخ بعدما سقطت حجته، وأخذ يضربني بيده ويهزني شمالاً ويميناً: أنت تريد أن تضعّف الحديث، وأنت من حتى تضعّفه. حتى خرج عن حدود المعقول. وأخذ الجميع يندهش من حركاته وتصرفه هذا.

قلتُ: يا شيخ، هنا مقام مناقشة ودليل وهذا الأسلوب الغريب الذي تتبعه لا يجدي، وقد جلست أنا مع الكثير من علماء الشيعة، ولم أرَ مثل هذا الأسلوب أبداً. قال تعالى: {وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (آلِ عِمْرَانَ: آيَةَ/159).. وبعد هذا، هدأ قليلاً من ثورته.

قلت: أسألك يا شيخ: هل رواية مالك لحديث "كتاب الله وسنتي". في الموطأ، ضعيفة أم صحيحة؟.

قال (بتحسر شديد): ضعيفة.

قلت: فلماذا إذن، قلت أن الحديث في الموطأ وأنت تعلم أنه ضعيف؟

قال (رافعاً صوته): إن للحديث طرق أخرى.

قلت: للحضور: قد تنزل الشيخ عن رواية الموطأ، وقال: إن للحديث طرق أخرى، فنسمع منه هذه الطرق.

هنا أحس الشيخ بالهزيمة والخجل، لأن ليس للحديث طرق صحيحة، وفي الأثناء، تحدث أحد الجلوس، فوكزني الشيخ بيده، وقال لي وهو مشيراً إلى المتحدث: اسمع له، والتفت يريد بذلك الهروب من السؤال المحرج الذي وجهته له.

أحسست منه هذا، ولكني أصررت وقلت: أسمعنا يا شيخ الطرق الأخرى للحديث؟.

قال (بلهجة منكسرة) لا أحفظها، وسوف أكتبها لك.

قلت: سبحان الله! أنت تحفظ كل هذه الأحاديث، في فضل البلدان والمناطق، ولا تحفظ طرق أهم الأحاديث وهو مرتكز أهل السنة والجماعة والذي يعصم الأمة عن الضلالة كما

قلت.. فظل ساكتاً.

وعندما أحس الحضور بخجله، قال لي أحدهم:

- ماذا تريد من الشيخ وقد وعدك أن يكتبها لك.

قلت: أنا أقرّب لك الطريق، إن هذا الحديث يوجد أيضاً في سيرة ابن هشام من غير سند.

قال الشيخ الأرنؤوطي: إن سيرة ابن هشام، كتاب سيرة وليس حديث.

قلت: إذن تضعّف هذه الرواية.

قال: نعم.

قلت: كفيتني مؤونة النقاش فيها.

وواصلت كلامي قائلاً: ويوجد أيضاً في كتاب الألماع للقاضي عياض، وفي كتاب الفقيه المتفقه للخطيب البغدادي.. هل تأخذ بهذه الروايات؟.

قال: لا.

قلت: إذن، حديث "كتاب الله وسنتي"، ضعيف بشهادة الشيخ، ولم يبق أمامنا إلا ضمانة واحدة تمنع الأمة من الاختلاف، وهي حديث

متواتر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد روته كتب الحديث السنَّية، والصحاح الستة ما عدا البخاري، وهو قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

"إني تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، فإن العليم الخبير، أنبئني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض". كما في رواية أحمد بن حنبل، ولا مناص لمؤمن يريد الإسلام الذي أمر الله به إلا أن يسلك هذا الطريق، وهو طريق أهل البيت المطهرين في القرآن الكريم من الرجس والمعاصي، وذكرتُ مجموعة من فضائل أهل البيت(ع)، والشيخ ساكت لم يتفوه بكلمة طوال هذه المدة. على غير عادته. فقد كان سيد المجلس قبل الحوار.

وعندما رأى مريدوه الانكسار في شيخهم، أصبحوا يهرّجون ويمرّجون.

قلت: كفى دجلاً ونفاقاً، ومراوغة عن الحق، إلى متى هذا التنكر؟!؟ والحق واضحة آياته، ظاهرة

بيناته، وقد أقمتُ عليكم الحجة، بأن لا دين من غير الكتاب والعترة الطاهرة من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وظل الشيخ ساكتا ولم يرد عليَّ كلمة واحدة. فقام منتفضاً قائلاً: أنا أريد أن أذهب، وأنني مرتبط بدرس، مع العلم أنه كان مدعواً لطعام الغداء!!.

أصر عليه صاحب المنزل بالبقاء، وبعد إحضار طعام الغداء، هدأ المجلس، ولم يتفوه الشيخ بكلمة واحدة في أي موضوع كان، طيلة جلسة الغداء.